أصول التصوف الإسلامي

الدكتور
يحيى هاشم حسن فرغل
أستاذ مساعد العقيدة والفلسفة
بجامعة الأزهر

الطبعــة الأولى

١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م

الإهداء

الى أستاذى الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
رحمه الله وأســكنه فى مساكن القرب منه ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه الدراسة فى « أصول التصوف الاسلامى » تقوم على منهج معين : هو باختصار ، عرض أصول التصوف فى خطوطها الرئيسية بموازاة أصول الاسلام فى خطوطها الرئيسية كذلك .

فاذا كان للتصوف أصوله فى المنهج ، والعقيدة والأخلاق والتجربة ، والطريق ، عرضنا ذلك على مائدة الاسلام من حيث هذه الأصول .

وهذا المنهج يجعلنا نقف على جواب فى المعركة الدائرة بين الباحثين حول : ماهى مصادر التصوف فى الاسلام ؟ دون أن نلتزم بتقاليد هذه المعركة المزمنة ، أو نغبر أقدامنا بترابها المصنوع ! ذلك لأن أمر الاستدلال على مصدر التصوف الاسلامى ــ عن طريق المنهج الذى اخترناه ــ يصبح من البداهة بمكان .

وعندى أن كلمة التصوف كلمة محايدة لا تستثير حكما ، ولا تستنهض سلاحا : مثلها فى ذلك كمثل كلمة (العلم) و (المدينة) و (الشريعة) و (الجامعة) ، هى كلمات (منتظرة) ، أو كلمات (انتظار) ، وأعنى بذلك أنها تنتظر الوصف الفارق ، وقبل أن يتأتيها هذا الوصف لا تسمح باصدار الحكم عليها ، فالعلم اذا كان هو (العلم النافع) ، و (المدنية) اذا كانت هى (المدنية الفاضلة) و (الشريعة) اذا كانت هى (الشريعة الالهية) ، و (الجامعة) اذا كانت هى (الجامعة الاسلامية) يصبح الحكم عليها واردا ومبررا .

وكذلك كلمة « التصوف » كلمة منتظرة ، وهى تنتظر حتى يأتيها الوصف ، ووصف هذه الكلمة فى مجال الدراسات الاسلامية يجر معه الحكم عليها ، ويصبح يسيرا عن طريق المنهج الذى اخترناه •

* * *

والمنهج الذى اخترناه أخذ بيدنا فى سلاسة وموضوعية ، الى القول: لقد كان هناك مايصح أن يسمى « التصوف الاسلامى » حيث يكون الانطباق مابين حركة التصوف فى أصوله ، وبين قواعد الاسلام فى أصوله ، ولقد كان هناك بالتالى من يصح وصفهم بأنهم صوفية الاسلام •

وقد يتساءل بعض الناس : اذا كان هذا الانطباق حقا ، واذا كان صوفية الاسلام هم كذلك يستقون من الاسلام ولا يخرجون عليه : فما هى ميزتهم عن غيرهم من « خلصاء » المسلمين الذين لانطلق عليهم وصف الصوفية ، وما مبرر استمرار الصوفية اذن كمدرسة مستقلة ؟ •

والسؤال على هذا النحو له شقان : أما عن الشق الأول فهو أن الصوفية لايحتكرون لأنفسهم هذا الوصف ، وقد يكون بعض المنكرين عليهم ممن دعوناهم خلصاء المسلمين هم أحق بوصف الصوفية من كثير ممن أطلق عليهم هذا الوصف ، والسؤال بعد ذلك يصبح موجها الى هؤلاء المنكرين « الخلصاء » لم لا يتصفون بالصوفية ؟

أما الشق الثانى من السؤال عن مبرر استمرار الصوفية كمدرسة مستقلة بعد أن يتبين انطباق أصولهم على أصول الاسلام فالجواب فيه أشار القشيرى الى شطر منه حين بين أن هذه التسمية لم تكن تطلق على خلصاء المسلمين فى الصدر الأول لأن هؤلاء كانوا يوصفون بصفات أجل : هى صفة الصحابى ، أو التابعى ، فما أغناهم حينذاك عن وصف آخر ! ونشير نحن هنا الى شطر آخر من الجواب حين نقول : ان مبرر استمرار الصوفية كمدرسة مستقلة ناشىء من أن غيرهم من أرباب

العلوم الاسلامية ــ بعد الصدر الأول ــ كانوا أصــحاب هِمم متوجهة الى غير ماتوجهت له همم الصوفية : وأعنى بها أصولهم فى الزهــد ، والحب ، والمعرفة ، والطريق ، وسواء قيل : لقــد بالغ الصوفية فى بعض هذا التوجه الى حد الخروج عن التكامل المطلوب فى الشــخصية الاسلامية أو لم يبالغوا فان الحقيقة تبقى : أنهم هم أصحاب هــذا التوجه دون غيرهم ، وتبقى الحقيقة كذلك : ان مثل هذا الاتهــام موجه الى غيرهم تحت عنوان « التفريط » وان لم يكن بعنوان « الافراط » . ويكفى مثالا على ذلك أن يتجه الواحد منا الى تناول عقيدته من كتب « الكلام » ليعرف الى أى حد يفتقد مايقوم به الصوفية فى هذا الباب .

* * *

وعندما يسترسل القارىء مع المنهج الذى اخترته فى هذه الدراسة من عرض لحركة التصوف فى أصوله ، يتطابق مع قواعد الاسلام فى أصوله كذلك لابد أن يستشعر ماشــعرت به من سلاسة هذا « التصــوف الاســلامى » واتساقه فى البناء المتكامل للشــخصية الاسلامية .

ويبدو أنه لهذه السلاسة نفســها يستغرب المستغربون هذا الوضع البعيد عن « الغرابة » ، ولا يسيغ فى مزاجهم المقلوب أن يكون هــذا هو التصــوف ! .

فيشيحون بوجوههم عن التصوف الصحيح كأنه غير موجود أصلا ، أو كأنه ماكان ينبغى له أن يوجد لتسلم لهم أوضاعهم الذهنية المقلوبة ، أو كان وجوده ليس الا هامشا عارضا لما يعتبرونه هو التصوف ممــا يشترطون له أن يكون منذ البداية غريبا عن الاسلام ، ليكون فى النهاية هو التصــوف فى الاسلام ! .

ولابد للباحث أن يشعر كما شعرت أنه هنا يوجد وضع بالغ التناقض والغرابة فى البحوث الاسلامية التى تناولت هذا الموضوع .

وهنا ينبغى أن ننبه الى تحذير شديد من خبث المستشرقين والباحثين الذين يميلون الى اعتبار التصوف الاسلامى الذى يستحق اسم التصوف الناضج فى نظرهم ، هو الذى ينبع من منابع غير اسلامية ! .

فهم بذلك يضربون المسلمين ضربتين :

ضربة تؤثر فيمن تدفعه دوافع حقيقية الى التصوف بأن تضعه خارج دائرة الاسلام الصحيح .

وضربة تؤثر فيمن تدفعه دوافع حقيقية للغيرة على الاسلام الصحيح بأن تضعه فى موضع المضطر الى مهاجمة التصوف باطلاق ! .

* * *

تبقى قضية التصوف مع العصر ومع « الحياة » ، وأعنى بها القول : بأن التصوف يؤدى لو اتخذ كمنهج عام للمسلمين جميعا الى خراب حياتهم الدنيا .

الأمر الذى دعا البعض الى سد باب هذه التهمة عن طريق القول بأن التصوف هو بطبيعته للقلة من الناس ، فلا يأتى هذا الاحتمال ! .

وأنا أرى أن هذا الدفاع ليس ضد عدو ، وهو ليس فى مصلحة التصوف ، ولا فى مصلحة الحياة ! .

ذلك لأنه اذا كان التصوف خيرا فليس من المعقول أن يقال : حذار من كثرة انتشاره ! .

واذا كان التصوف ضد الحياة فيجب غلق أبوابه من الآن ! .

والذى أراه أن التصوف المتطابق فى حركته مع أصول الاسلام خير فى مصلحة الحياة ، وهو لايخشى شره الا اذا ذهب به البعض وجهات فردية فتكون فى حاجة حينئذ الى رد جماح هذا التفرد ، والرجوع الى

مبدأ التكامل فى الشخصية الاسلامية ، أو اذا ذهب به البعض الآخر الى انحرافات لها مصادر غير اسلامية ، فيكون فى حاجة حينئذ الى رده الى أصـــول الاســـلام •

فاذا ســـلمت للتصوف أصول الاسلام فانه يكون فى هذه الحـــالة عونا على مطالب الحياة وليس عقبة فى سبيلها •

ويكفى أن نضع القارىء هنا أمام قول الرسول صلى الله عليه وسلم « ••• من كانت الدنيا همه فرق الله عليه شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ماقدر له ، ومن كانت الآخرة همه جمع الله له شمله ، وجعل غناه فى قلبه **وأتته الدنيا وهى راغمة** » •

(رواه الترمذى)

والأمر الذى لاشك فيه أن المسلم مدعو الى امتلاك الدنيـــا ، — لا الى أن تمتلكه الدنيا — وهو لن يكون على أية حال مستهدفا للدنيا كما يستهدفها انسان الحضارة الغربية الحديثة ، والذى يحول بينه وبين ذلك ليس هو التصوف ولكن الاسلام ذاته ! •

هذا وما توفيقى الا بالله •

ديسمبر ١٩٨٣ **د • يحيى هاشم حسن فرغل**

اشتقاق لفظ التصوف ومعناه

اشتقاق لفظ التصـــوف ومعناه :

كثر الخـــلاف حول اشتقاق كلمة التصـــوف .

فجمهور الصوفية يذهبون الى أنه مشتق من الصفاء .

ويذهب بعضهم الى أنه مشتق من الصفة ، نسبة الى أهل الصـــفة الذى أطلق على بعض فقراء المســـلمين فى صـــدر الاسلام ، اذ كانوا يأوون الى صـــفة بناها لهم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ خارج المسجد بالمدينة .

وذهب آخرون الى أنه مشتق من الصف وهو الصف المستقيم فى حضرة الله . وهذه الأقوال لاتتفق مع قواعد الاشتقاق فى اللغة العربية .

ومن أقدم الاراء التى قيلت ماذكره البيرونى من أن هذا اللفظ انما هو تحريف لكلمة « سوف » اليونانية التى تعنى الحكمة ، وهذا رأى ضعيف نظرا لأن التسمية بالصـــوفى كانت موجودة قبل ترجمة الفلسفة اليونانية ، ولأن الصوفى أول ماظهر لم يكن على صلة بهذه الفلسفة .

أما أبو النصر السراج الطوسى فيقرر فى كتابه اللمع : أن هذه الكلمة نسبة الى لبس الصوف وكما يقـــول :

« نسبتهم الى ظاهر اللبسة لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام ، وشعار الأولياء والأصفياء . ويكثر ذلك فى الروايات والاخبار فلما أضفتهم الى ظاهر اللبسة كان ذلك اسما مجملا عاما مخبرا عن جميع العلوم والأعمال والأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة » .

ثم يجد الطوسى نظيرا لهذه النسبة فى تسمية القرآن الكريم لأصحاب عيسى عليه السلام (فنسبهم الى ظاهر اللبسة فقال عز وجل « واذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء » المائدة ١١٣ ، وكانوا قوما يلبسون البياض[١] فنسبهم الله تعالى الى ذلك ، ولم ينسبهم الى نوع من العلوم والأعمال والأحوال التى كانوا بها مترسمين ، فكذلك الصوفية عندى والله أعلم)[٢] .

وفى هذا يقول السهروردى (فمن هذا الوجه ذهب قوم الى أنهم سموا صوفية نسبة لهم الى ظاهر اللبسة لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق — أى أسهل تكلفة — ولكونه كان لباس الأنبياء عليهم السلام)

ويذكر رواية بسندها عن مسلم عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يجيب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف .

كما يذكر رواية بسندها عن عبد الله بن مسعود قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يوم كلم الله تعالى موسى عليه السلام كان عليه جبة من صوف وسراويل من صوف وكساء من صوف ...)

أورده الترمذى والحاكم فى المستدرك وغيرهما :

قال الترمذى : غريب لانعرفه الا من حديث حميد ابن على الكوفى .

وقال فيه البخارى منكر الحديث وهو فى سند الحاكم .

وروى الحاكم بسنده عن عبد الله قال : كانت الأنبياء يستحبون أن يلبسوا الصوف ، وقال صحيح على شرطهما وأقره الذهبى .

---

(١) فى المعجم الوسيط : حور الدقيق أو الثوب بيضه ، والحوارى مبيض الثوب والذى أخلص واختير ونقى من كل عيب ، والأحورى الابيض الناعم .

(٢) اللمع ص٤١ ط ١٩٦٠ .

وقال الحسن البصرى — رضى الله عنه — :

لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف •

يقول الامام السهروردى عن الصوفية :

كان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا •

ثم يبين السهروردى أولوية هذه التسمية على أية تسمية أخرى تستمد من حالهم بـ ن (حالهم كان بين سيروطير ، لتقليهم فى الأحوال وارتقائهم من « عال » الى « أعلى » منه لايقيدهم وصف ولا يحبسهم نعت ، وأبواب المزيد — علما وحالا — عليهم مفتوحة ، وبواطنهم معدن الحقائق ومجمع العلوم فلما تعذر تقييدهم بحال نسبوا الى ظاهر اللبسة ، وكان ذلك أبين فى الاشارة اليهم ، وادعى الى حصر وصفهم ، كذلك يبين السهروردى لم كانت هذه التسمية أولى من تسمية أخرى ينسبون فيها الى القرب من الله لأنه (لما كان الاعتزاء الى القرب أمرا صعبا يعز كشفه والاشارة اليه ، وقعت الاشارة الى زيهم سترا لحالهم وغيرة على عزيز مقامهم أن تكثر الاشارة اليه وتتداوله الألسنة ، فكان هذا أقرب الى الأدب •

وكذلك لأن لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من أمرهم ونسبتهم الى أمر آخر من حال أو مقام أمر باطن ، والحكم بالظاهر أوفق وأولى)[٣] •

وممن ذهب الى تأييد هذا الاشتقاق أعنى اشتقاق التصوف من لبس الصوف من العلماء المحدثين والمستشرقين مرجليوت ، ود • زكى مبارك ، والشيخ مصطفى عبد الرازق والدكتور عبد الحليم محمود ، وأحمد أمين وآخرون •

ويدافع أصحاب هذا الرأى ضد من ينتقصون منه بدعوى أنه

---

(٣) عوارف المعارف ص٢٠٩ الى ص٢١١ جـ١ •

يجعل من التصوف نسبة الى المظاهر والاشكال ، على أساس أنه (ليس من المحتم دائما أن يكون المعنى الأصلى للاسم هو المراد مما وضع الاسم له ، اذ المعنى الأصلى قد يتطور ويتغير ويختلف ، وقد يقصد عكسه) .

على أن الدكتور عبد الحليم محمود يجد مناسبة تربط هذا اللفظ بمعناه الأصلى اذا نظرنا الى التصوف فى بدايته باعتباره قائما على الزهد (ولقد رأى هؤلاء الزهاد — من ناحية الملبس — فى الصوف مايحقق أهدافهم التى تتصل بالتقشف والشظف والخشونة فهو متين رخيص خشن لايحتاج الانسان معه فى الشتاء الى غيره ، ولا يحتاج الى تغييره كثيرا ، ذلك أنه لايبلى بسرعة ، فتصوفوا ، أى لبسوا الصوف) .

ويلاحظ الدكتور عبد الحليم محمود أن التوفيق قد صاحب هذا الاطلاق ، لأن هذه الكلمة فى انتسابها الى « الصوف » تمت فى نفس الوقت بصلة حرفية الى كثير من الكلمات التى تدل على معان وثيقة الصلة بالتصوف كالصفاء والصف ، والصفة ، والـ « صوفيا » اليونانية (٤) بل لقد صاحبها التوفيق فى التقاء القيمة العددية لحروفها بالقيمة العددية لحروف « الحكمة الالهية » وهذا ما لاحظه الشيخ عبد الواحد يحيى (٥) .

أما أول اطلاق لهذه الكلمة فى العربية ، فتختلف الآراء فى ذلك ، فيذهب بعضها الى أنه كان لها وجود فى عصر الرسول — صلى الله عليه وسلم — أو قبل الاسلام ، ويرى آخرون أن أول من تسمى صوفيا هو أبو هاشم الكوفى المعاصر لسفيان الثورى . ت ١٦١هـ .

---

(٤) مقدمة المنقذ من الضلال للدكتور عبد الحليم محمود . الجلسة الخامسة ص١٥٥ — ١٦١ .

(٥) المصدر السابق ص١٥٧ .

أما الامام القشيرى فيقول :

(اشتهر هذا الأسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة)[٦] .
وأخطأ نيكلسون خطأ فاحشا فى قوله :

« يرى السراج أن أهل بغداد هم الذين اخترعوا هذه الكلمة »[٧]
ذلك لأن السراج يقول بالنص (واما قول القائل أنه اسم محدث أحدثه البغداديون فمحال ، لأن فى وقت الحسن البصرى رحمه الله كان يعرف هذا الاسم ، وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — توفى ١١٠هـ ، وقد روى عنه أنه قال : رأيت صوفيا فى الطواف فأعطيته شيئا لم يأخذه .... الخ)[٨] .

وهنا قد ينشأ سؤال يهدف الى التقليل من شأن هذه التسمية أورده الطوسى قال :

ان سأل سائل فقال : لم نسمع بذكر الصوفية « فى أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ورضى عنهم أجمعين ولا فيمن كان بعدهم ولا نعرف الا « العباد » و « الزهاد » والسياحين والفقراء وما قيل لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : صوفى ؟

يرد الطوسى على ذلك قائلا : (الصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لها حرمة ، وتخصيص من شمله ذلك فلا يجوز أن يعلق عليه اسم على أنه أشرف من الصحبة ، ألا ترى أنهم أئمة الزهاد والعباد والمتوكلين والفقراء وما قيل لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نسبوا الى الصحبة التى هى أجل الأحوال استحال أن يفضلوا بفضيلة غير الصحبة التى هى أجل الأحوال)[٩] .

---

(٦) الرسالة جـ١ ص٦٢ ط١٩٧٢ .
(٧) التصوف الاسلامى ط٦٨ ط١٩٥٦ .
(٨) اللمع ٤٢ طبعة ١٩٦٠ .
(٩) اللمع ص٤٢ .

والى مثل هذا الجواب ذهب الامام القشيرى فى قوله :

(ان المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسم أفاضلهم فى عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة • ولما أدركهم أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة ، التابعين ورأوا فى ذلك أشرف سمة ، ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين •

ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين : الزهاد والعباد • ثم ظهرت البدع وحصل التداعى بين الفرق ، فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى الحافظون « قلوبهم » عن طوارق الغفلة باسم (التصوف)[١٠] •

تعريف التصوف :

يتناول الكاتبون تعريف التصوف من جهات مختلفة :

فمن الجانب الأخلاقى :

يقول أبو بكر الكتانى ت ٢٣٣هـ : « التصوف خلق ، فمن زاد عليك فى الخلق ، فقد زاد عليك فى الصفاء » •

وأبو بكر الحريرى ت ٣١١ يقول « التصوف هو الدخول فى كل خلق سنى ، والخروج من كل خلق دنى » •

وأبو الحسن النورى يقول « ليس التصوف رسما ولا علما ولكنه تخلق بأخلاق الله » •

وتعريف التصوف بالجانب الخلقى ليس جامعا ، لأن له جوانب

---

(١٠) الرسالة ص٦١ جـ١ •

أخرى لابد من ملاحظتها ، بل أن هؤلاء الذين ذكروا هذه التعاريف الأخلاقية للتصوف ذكروا فى مواضع أخرى تعاريف أخرى ، مما يدل على أنهم لم يروا كفاية الجانب الأخلاقى فى تعريف التصوف .

كذلك فان التعريف بالجانب الأخلاقى ليس مانعا ، ذلك أننا لو نظرنا الى الكثير من الأشخاص الذين اشتهروا بالسمو فى الجانب الأخلاقى واتصفوا بأروع الصفات الأخلاقية ، واتخذوا الفضيلة مذهبا وشعارا لوجدناهم مثاليين أخلاقيا ، ولكنهم ليسوا صوفية ، أنظر حياة سقراط أو كانط على سبيل المثال فى البيئة غير الاسلامية ، قديما وحديثا .

على أن نقد هذا التعريف على هذا النحو لايعنى استبعاد العنصر الأخلاقى من حقيقة التصوف لأنها — أى الأخلاق — كما يقول الدكتور عبد الحليم محمود (ملازمة للصوفى وللتصوف ملازمة تامة ، لا تتخلى عنه ولا يتخلى عنها ، ولكن ليس معنى ذلك أنها هى التصوف)[11] .

ويتجه آخرون الى تعريف التصوف من ناحية موقفه من متع هذه الدنيا « الزهد » .

قال رويم (التصوف مبنى على ثلاث خصال :

التمسك بالفقر والافتقار ، والتحقق بالبذل والايثار ، وترك التعرض والاختيار) .

وقال معروف الكرخى (التصوف الاخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف) .

وقال بعضهم (ان الفقير — أى الصوفى — الصادق ليحترز من الغنى حذر أن يدخل عليه الغنى فيفسد فقره ، كما أن الغنى يحترز من الفقير حذر أن يدخل عليه الفقر فيفسد عليه غناه) .

---

(١١) مقدمة المنقذ من الضلال ص١٦٣ — ١٦٤ .

وقال ذو النون المصرى ت ٢٤٥هـ (الصوف من لايتعبه طلب، ولا يزعجه سلب) ٠

وقيل (نهاية الفقر مع شرفه هو بداية التصوف) ٠

ويتجه آخرون الى تعريف التصوف من ناحية موقفه من أعمال العبادة فاذا رأوا شخصا كثير العبادة قالوا عنه : أنه صوفى ٠

ويفرق البعض بين زهد الصوفى وزهد غيره أو بين عبادة الصوفى ، وعبادة غيره ،

وهذه التفرقة نجدها عند السيدة رابعة العدوية ، فزهد غير الصوفى ، انما هدفه الاستمتاع فى الاخرة ، وزهد الصوفى أنما يهدف الى التنزه عن الشغل بغير الله ، وعبادة غير الصوفى تهدف الى دخول الجنة ، وعبادة الصوفى تهدف الى استدامة الصلة بالله « لأنه مستحق للعباد ةولأنها نسبة شريفة اليه لا لرغبة ، أو رهبة » ٠

والى مايشبه ذلك ذهب السهروردى اذ يفرق بين الفقير والصوفى فيقول :

(الفقير فى فقره متمسك به يؤثره على الغنى ، متطلع الى ماتحقق من العوض عند الله حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

« يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الأغنياء بنصف يو م: وهو خمسمائة عام » ٠

فكلما لاحظ العوض الباقى امسك عن الحاصل الفانى ، وهذا عين الاعتلال فى طريق الصوفية ، لأنه تطلع الى الأعواض وترك لأجلها ،

والصوفى يترك الأشياء لا للاعواض الموعودة ، بل للاحوال الموجودة فانه ابن وقتـــه[١٢] •

وأيضا ترك الفقير الحظ العاجل واعتناؤه الفقر ••• اختيار منه وارادة ، والاختيار والارادة علة فى حال الصوفى ، لأن الصوفى صار قائما فى الأشياء بارادة الله تعالى لا بارادة نفســـه ، فلا يرى فضـــيلة فى صورة فقر ، ولا فى صورة غنى ، وانما يرى الفضيلة فيما يوقفه الحق فيـــه ، ويدخله عليه ، ويعلم الاذن من الله تعالى فى الدخول فى الشىء •

وقد يدخل فى صورة سعة مباينة للفقر باذن الله تعالى ، ويرى الفضيلة فى السعة لمكان الاذن من الله فيه ، ولا يفســـح فى الســـعة والدخول فيها للصادقين الا بعد احكامهم علم الاذن ••• واعلم أن الفقر أساس التصوف ، وبه قوامه ، على معنى أن الوصـــول الى رتب التصوف طريقـــه الفقر ، لا على معنى أنه يلزم من وجـــود التصوف وجـــود الفقـــر)[١٣] •

وممن قرر التفرقة بين الزهد والتصوف ابن الجوزى فى تلبيـــس ابليـــس •

وابن خـــلدون

(وأخذ بها المحدثون من مثل جولد زيهر وكل من كتب فى التصوف الى يومنا هذا) •

على حد قول الدكتور أبو العلا عفيفى[١٤] •

---

(١٢) أنظر ماكتبناه عن مفهوم الوقت عند الصوفية .

(١٣) عوارف المعارف جـ١ ص٢٠٤ طبعة ١٩٧١ .

(١٤) التصوف الثورة الروحية فى الاسلام للدكتور ابو العلا عفيفى ص ١٠٥ .

واتجه آخرون الى تعريف التصوف من ناحية موقفه الوجـدانى أمام الله سبحانه وتعالى :

قال الجنيد وقد سئل عن التصـوف (هو أن تكون مع الله بلا عـلاقة) •

وقال ذو النون المصرى (الصوفية آثروا الله تعالى على كل شىء فآثرهم الله على كل شىء) •

وقال رويم (التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على مايريد)

ويتجه اخرون الى تعريف التصوف من موقفه الفكرى • فالصوفى عندهم — كما ذهب الى ذلك ابن سينا فى كتابه الاشارات هو كما يقول (المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص باسم الزاهد ، والمواظب على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوهما يخص باسم العابد ، والمنصرف بفكره الى قدس الجبروت مستديما لشروق نور الحق فى سره يخص باسـم العارف ، وقد يتركب بعض هذه مع بعض) •

والعارف عند ابن سينا هو الصوفى(١٥) •

وهناك تعريفات تضم جهات عديدة مما سبق ذكره ، يقول سـهل بن عبد الله التسترى : (الصوفى من صفا من الكدر ، وامتلأ من الفكر ، وانقطع الى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر) •

وقال بعضهم (التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع) •

وقال بعضهم (التصوف تصفية القلب من موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، واخماد صفات البشرية ، ومجانبة الدواعى النفسانية ،

---

(١٥) دراسة نصوص من الاشارات فى التصوف عند ابن سـينا للدكتور عبد الحليم محمود طبعة الأنجلو ، ص٥٠ ، ص١٥ •

ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بعلوم الحقيقة ، واتباع الرسول فى الشريعـــة) •

وقال بعضهم (التصوف أوله علم وأوسطه عمل ، وآخره موهبة من الله تعالى) •

ما هو اذن التعريف الصـــحيح للتصوف ؟ •

يقول أبو حفص السهروردى فى تعليقه على التعريفات المختلفـــة للتصوف (أقوال المشايخ — أى فى التعريف — تتنوع معانيها لأنهـــم أشاروا فيها الى أحوال فى أوقات دون أوقات ويحتاج فى تفصيل بعضها من البعض الى ضوابط •••) •

ثم يقول (أقوال المشايخ فى ماهية التصوف تزيد على ألف قـــول ، ويطول نقلها ، ونذكر ضابطا يجمع جمل معانيها ، فان الألفاظ وان اختلفت متقاربة المعانى ، فنقول :

الصوفى هو الذى يكون دائم التصفية لايزال يصفى الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوائب النفس •

ويعينه على هذه التصـــفية دوام افتقاره الى مولاه ، فبـــدوام الافتقـــار ينقى من الكدر •

فهو قائم بربه على قلبـــه •

وقائم بقلبـــه على نفســـه •

قال تعالى (كونوا قوامين لله شهداء بالقســـط) •

وهذه القوامية لله على النفس هى التحقق بالتصوف[١٦] •

---

(١٦) عوارف المعارف ص٢٠٨ جا •

ولعل هذا الاتجاه الذى اتجه اليه السهروردى هو الذى جعل الدكتور عبد الحليم محمود يختار بعض التعريفات التى يرى أنها تتجه الوجهة الصحيحة فيما يتعلق بالمعنى الحقيقى للتصوف •

من ذلك تعريف أبى سعيد الخراز ت ٢٦٨ هـ للصوفى بأنه (من صفى ربه قلبه فامتلأ قلبه نورا ، ومن دخل فى عين اللذة بذكر الله) •
وتعريف الجنيد البغدادى المتوفى ٢٩٧هـ (التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به) •

وتعريف أبى بكر الكتانى ت ٣٢٢هـ (التصوف : صفاء ومشاهدة)•

ويستقر رأى الدكتور عبد الحليم محمود عند هذا التعريف الأخير •

(١٧) مقدمة المنقذ من الضلال ص١٦٦ — ١٦٧ •

أصول المنهج

أصـــول المنهج

يتفق التصوف مع الفلســـفة الاسلامية فى أن كليهما يهـدف الى الاتصال بالله وان اختلف الطريق بعد ذلك ..

فالفلســـة تصطنع التأمل والنظر العقلى الذى يسلــم الى الفيض والالهـــام .

والتصوف يتخذ العمل والتعبد طريقا الى الكشف والمعرفة يقــول « طاش كبرى زادة » فى مفتاح السعادة .

« تبتدىء الحكمة من طريق العلم الى العرفان ، ومن طريق الشهادة الى الغيب » .

وأما الصوفية فطريقها « مايتجلى للصوفية بالجذبة الالهية فيبتدىء من الغيب ثم ينكشف له عالم الشهادة »[1] .

يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق فى تعليقه على مادة تصـــوف بالنسخة العربية لدائرة المعارف الاسلامية موضحا الفرق بين التصوف وعلم الكلام منهجيا .

(... لما نشأ البحث فى العقائد والتماس الايمان من طريق النظر ... وتوجهت همم المسلمين الى التماس المعرفة على أساليب المتكلمين أصبح الكمال الدينى هو التماس الايمان والمعرفة عن طريق التصـــفية والمكاشـــفة ، وأصبح التصـــوف عبارة عن بيان هذه الطريقة وسلوكها ، وأصبح بذلك طريقا للمعرفة يقابل طريق أرباب النظر من المتكلمين)[2] .

---

(١) أسس الفلســـفة للدكتور توفيق الطويل ص٤٥٣ .

(٢) انظر علم الكلام وبعض مشكلاته للدكتور التفتازانى ص٥٨ .

وهذا هو ماجعل البعض يعبر عن التصوف بأنه كان ثورة على علم الكلام (لما قالوا به من منهج ذوقى فى المعرفة)[٣] .

وهو الأمر الذى جعل بعض مؤرخى الفرق والمقالات والعلوم يعدون الصوفية فرقة من الفرق .

فابن النديم جعل المقالة الخامسة من كتابه المتعلقة بالكلام والمتكلمين عن : السياح والزهاد والعباد والمتصوفة المتكلمين على الخطرات والوساوس ؟ .

والغزالى فى المنقذ من الضلال جعل الفرق أربعة : المتكلمين والباطنية والفلاسفة والصوفية .

أما الرازى فقد عدهم فرقة أصلية لها فرق متفرعة عنها[٤] . وعند الرازى أن الصوفية فرقة تمتاز بشىء فى الأصول[٥] تختلف فيه عن بقية الفرق الاسلامية .

فأهل السنة والجماعة يرون أن الطريق لمعرفة الله هو السمع وفرق المعتزلة وبعض الفرق الأخرى ترى أن ذلك الطريق هو العقل .

أما الصوفية فترى أن الطريق لمعرفة الله هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية للوصول الى مرتبة الكشف .

يقول الاما م الرازى :

(اعلم أن أكثر من قص فرق الامة لم يذكر الصوفية وذلك خطأ ،

---

(٣) الدكتور ابو العلا عفيفى فى التصوف ثورة روحية ص١٥٦ .
(٤) انظر بحث الشيخ مصطفى عبد الرازق مقدمه كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى .
(٥) يقصد الأصل المنهجى .

لأن حاصل قول الصوفية أن الطريق الى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية وهذا طريق حسن[٦] ٠

وذهب الامام الرازى الى عدهم أربع فرق :

الأولى : أصحاب العادات : وهم قوم منتهى أمرهم وغايته تزيين الظاهر كلبس الخرقة ، وتسوية السجادة ٠

الثانية : أصحاب العبادات : وهم قوم يشتغلون بالزهد والعبادة مع ترك سائر الأشغال ٠

الثالثة : أصحاب الحقيقة : وهم قوم اذا فرغوا من أداء الفرائض لم يشتغلوا بنوافل العبادات بل بالفكر وتجريد النفس عن العلائق الجسمانية ، وهم يجتهدون أن لايخلوا سرهم وبالهم عن ذكر الله تعالى٠ وهؤلاء خير فرق الادميين ٠

الرابعة : النورية وهم طائفة يقولون أن الحجاب حجابان نورى ونارى أما النورى فالاشتغال باكتساب الصفات المحمودة كالتوكل والشوق والتسليم والمراقبة والانس والوحدة ٠

أما النارى فالاشتغال بالشهوة والغضب والحرص والأمل لأن هذه الصفات صفات نارية كما أن ابليس لما كان ناريا فلا جرم وقع فى الحسد[٧] ٠

واذا كان منهج الرازى يدفعنا الى شىء من المبالغة اذ يجعلنا نعد كل طريقة من طرق الصوفية فرقة ، الأمر الذى يفتح الباب للوصول بها الى مئات ، كما أنه قاصر على ملاحظاته الشخصية ٠ ٠

---

(٦) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى ص٧٢ ٠

(٧) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٧٢ — ٧٣ ٠

فقد كان هناك من أنكر وجودهم كفرقة أصـــلا اذ لم يذكرهم الشهرستانى فى الملل والنحل ، أو الشعرانى فى رسالة له عن أهل العقائد، كفرقة أصلية أو فرعية ..

ولعل هذا يتمشى مع ماذهب اليه المستشرق نيكلسون .

يقول (ليست الصوفية فرقة ، ولم يكن لها مذهب مرســوم فى العقائد ، وطرقهم التى يبحثون بها عن الله متعددة تعدد أرواح الخلق ، وتختلف الى غير نهاية على أنه يمكن تتبع رابطة القرابة بينها)[٨] .

ولعل من الأمور التى ترشح أنكار وجودهم كفرقة أنهم غقــدوا أشياء من مميزات الفرق أهمها « الجدل » كسلاح من أسلحة الفرقة فى نشر عقيدتها أو الدفاع عنها .

يقول الشيخ الشعرانى (وكان الشيخ محى الدين رضى الله عنه يقول : ليس من شأن أهل الله تعالى أن يتصدوا للرد على أحد من أهل الفرق الاسلامية الا أن خالفوا النصوص أو خرقوا الاجماع .

فمن تصدى للرد على أحد منهم فلا يأمن أن ينكر عليهم أمرا هو حق فى نفس الأمر فان أهل الاسلام ماداموا فى دائرة الاسلام لايعتقدون الا حقا أو ما فيه شبهة حق بخلاف من يخرج عن الاسلام أﻫ) .

وقال فى الباب الثلاثين من الفتوحات : من شأن أهل الله تعالى أنهم لايجرحون عقائد أحد من المسلمين وانما شأنهم البحث عن منازع الاعتقادات ليعرفوا من أين انتحلها أهلها وما الذى تجلى لها حتى اعتقدت ما اعتقدت وهل يؤثر ذلك فى سعادتها أم لا . هذا حظهم من البحــث فى علم الكــلام ...) .

---

(٨) الصوفية فى الاسلام ... ترجمة شريبة ص٣٢ .

ويكاد ابن عربى يحصر المنهج الصحيح فى التقليد شأن العوام والالهام شأن الصوفية . وذلك اذ يقول فيما نقله عنه الشيخ الشعرانى :

(فعلم أن عقائد العوام باجماع كل متشرع صحيحة سليمة من الشبهة التى تطرق المتكلمين وهم على قواعد دين الاسلام وان لم يطالعوا كتب الكلام لأن الله سبحانه وتعالى قد أبقاهم على صحة العقيدة بالفطرة الاسلامية التى فطر الله الموحدين عليها : اما بتلقين الوالد المتشرع واما بالالهام الصحيح ... وهم على صواب فى عقائدهم ما لم يتطرق أحدهم الى التأويل فان التأويل قد لايكون مرادا للشارع ، وان تطرق أحدهم الى التأويل ... فقد خرج عن حكم العامة فى ذلك والتحق بأهل النظر والتأويل وهو على حسب تأويله وعلمه يلقى الله تعالى فاما مصيب واما مخطىء)[٩] .

كذلك من الأمور التى ترشح انكار وجودهم كفرقة انهم كانوا من حيث الأصول العقيدية ينتسبون الى فرقة من الفرق القائمة فى المحيط الاسلامى ...

والأمر الذى لاشك فيه هو أنه كان هناك صوفية ينتسبون لأهل السنة ، وصوفية ينتسبون للشيعة ، وصوفية ينتسبون للمشبهة ...

وسيتبين لنا ذلك بوضوح عند الكلام عن عقائد الصوفية ثم فى الكلام عن الانحرافات .

ولعل هذا هو الذى جعل بعض مؤرخى الفرق يذكر أقاويل الصوفية دون أن ينسبهم الى فرقة أصلية أو فرعية ، كالأشعرى فى المقالات ، وابن حزم فى الفصل والبغدادى فى الفرق بين الفرق ، اشعارا بأنهم

---

(٩) اليواقيت والجواهر للشعرانى جـ١ ص٢٣ .

على هذه الأقاويل ليسوا فرقة ، وانما هم بحيث تدفعهم أقاويلهم الى فرقة من الفرق القائمة .

ويؤكد ذلك أن أبا المظفر الاسفراييني وهو يسرد مفاخر أهل السنة ويذكر علومهم وأعلامهم فى الادب والنحو والتاريخ والتفسير والحديث والفقه ، اعتبر التصوف علما من علومهم فقال :

(سادسا : علم التصوف والاشارات ، ومالهم فيها من الدقائق والحقائق لم يكن قط لأحد من أهل البدعة فيه حظ بل كانوا محرومين مما فيه من الراحة والحلاوة والسكينة والطمأنينة .

وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمى ت ٤١٢هـ من مشايخهم قريبا من ألف وجمع اشاراتهم (وأحاديثهم ولم يوجد فى جملتهم قط من ينتسب الى شىء من بدع القدرية والروافض والخوارج ، وكيف يتصور فيهم من هؤلاء وكلامهم يدور على التسليم والتفويض والتبرى من النفس والتوحيد بالخالق والمشيئة وأهل البدع ينسبون الفعل والمشيئة والخلق والتقدير الى أنفسهم وذلك بمعزل عما عليه أهل الحقائق من التسليم والتوحيد)[١٠]

ونجد الطوسى وهو من رجال التصوف يقرر أن (أولى العلم القائمين بالقسط الذين هم ورثة الأنبياء ... هم ثلاثة أصناف :

أصحاب الحديث ، والفقهاء ، والصوفية)

ويقول (فكل من أشكال عليه أصل من أصول الدين وفروعه وحقوقه وحقائقه وحدوده وأحكامه ظاهرا أو باطنا فلابد له من الرجوع الى هؤلاء الأصناف الثلاثة : أصحاب الحديث ، والفقهاء ، والصوفية)[١١] .

---

(١٠) التبصير فى الدين ص١١٦ ، ١١٨ .

(١١) اللمع ص٢٢ ، ٢٣

فقد جعلهم الطوسى اذن أصحاب عام من علوم الدين وليس أصحاب فرقة من الفرق .

والخلاصة اذن أن هنا كاتجاهات مختلفة لدى مؤرخى الفرق فى هذه المسألة .

فمنهم من عد الصوفية ، فرقة ، ومنهم من بالغ فى ذلك فجعلهم فرقة ذات فرق ، ومنهم من لم يذكرها أصلا ، ومنهم من ذكر أقاويلها دون أن ينسبها الى فرقة أصلية أو فرعية ، ومنهم من ذكرها كعام من علوم السنة ....

والذى أراه هو التفرقة فى نظرتنا الى التصوف كمنهج ، ونظرتنا اليه كمجموعة عقائد .

أما التصوف كمنهج فهو مدرسة قائمة بذاتها قد تعد فرقة لتميزها فى المنهج ، وقد لا تعد لفقدانها بعض مميزات الفرق ، كالجدل والاستقلال فى العقيدة .

أما الصوفية كمجموعة عقائد ، فهى تنتسب الى فرق كثيرة ، منها صوفية السنة ، ومنها صوفية الشيعة ، ومنها صوفية المشبهه ، ومنها صوفية تكاد تنزلق — أو انزلقت بالفعل — الى عقائد غريبة عن الاسلام وسنذكر فيما يلى مايؤكد تميز الصوفية كمنهج ، ثم نذكر عقائد صوفية السنة ، ثم نشير الى باقين فى مبحث الانحرافات .

أما تميز الصوفية عن الفرق فى المنهج وأنه قائم على الرياضة والكشف فأمر كاد يكون موضع الاجماع من الباحثين ، وقد أشرنا سالفا الى أقوال بعضهم من القدماء والمحدثين .

ونضيف اليهم هنا أمثلة من أقوال الصوفية أنفسهم .

فقد قيل لأبى الحسن النورى رحمه الله : بم عرفت الله تعـالى ؟ فقال : بالله قيل : فما بال العقل ؟ قال : العقل عاجز لايدل الا على عاجز مثله)[١٢] •

وقال ابن عطاء : العقل آلة للعبودية لا للاشراف على الربوبية •
وقال غيره : العقل يحوم حول الكون ، فاذا نظر الى المكون ذاب •

وقال بعض الكبار : لايعرفه الا من تعرف اليه ـ أى تعرف الله اليه ولا يوحده الا من توحد له ـ أى أراه الله انه واحد ، ولايؤمن به الا من لطف به ، ولايصـفه الا من تجلى لسره ، ولايلخص له الا من جذبه اليه ، ولايصـلح له الا من اصطنعه لنفسه •

وقال ابن عطاء : تعرف ـ أى الله تعالى ـ الى العامة بخلقه ـ والى الخاصة بكلامه وصفاته والى الأنبياء بنفسه[١٣] •

وفصـل ذو النون القول فى المعرفة وأنواعها ودرجاتها وطـرق الوصول اليها فمعرفة وحدانية الله طريقها الكتاب والسـنة ومعـرفة فردانيته وقدرته طريقها الكشف ومعرفة اسـم الله الأعظم هبة من اللـه •• [١٤] •

ويقرر القشيرى أصول الصوفية ، وانها تقتضى : أن الله يعـرف بالقلب ، ويحب بالروح ، ويشاهد بالسر •

ومن مقتضى أصولهم أيضا أن السر ألطف من الروح ، والروح أشرف من القلب [١٥] •

---

(١٢) اللمع الطوسى ص٦٣ •
(١٣) التعرف لمذهب اهل التصوف ط ١٩٦٩ ص٧٩ ـ ٨١ •
(١٤) التصوف ثورة روحية لابو العلا عفيفى ص٩٩ •
(١٥) الرسـالة جا ص٣٠٩ •

ويبين محى الدين ابن عربى أن النهى عن الخوض فى علم الكلام انما هو فى حق من يتكلم فيه بالنظر والفكر ، اذ الفكر كثير الخطأ فى الالهيات ، اما من يتكلم فى التوحيد ولوازمه من طريق الكشف ، فلا يدخل فى نهى السلف[١٦] .

ويقول الكلاباذى عن أهل التصوف :

(اجمعوا على أن الدليل على الله هو الله وحده وسبيل العقل عندهم سبيل العاقل فى حاجته الى الدليل لأنه محدث ، والمحدث لايدل الا على مثله) .

والصوفية اذ يقررون بمنهجهم هذا عجز العقل لايذهبون الى حد الغائه أو تحقيره ذلك لأن المعرفة الكشفية لاتتم الا مع العقل .

يقول الكلاباذى (واجمعوا انه لايعرفه الا ذو عقل ، لأن العقل آلة للعبد يعرف به ماعرف ، وهو بنفسه لايعرف الله تعالى ، فلم يكن للعقل أن يعرف الله الا بالله[١٧] .

فاذا ذهبنا الى التجربة الفكرية للامام الغزالى نجدها تتلخص فى كلمات :

— أخطأت الحواس فلا ثقة فيها .

— أخطأ العقل فلا ثقة فيه .

— فهل يعنى ذلك انه لا سبيل الى المعرفة الحقيقية ؟

— قد يجيبنا مذهب الشك نعم . ولكن الصوفى يعود فيثبت المعرفة عن طريق الالهام أو البصيرة أو الكشف .

---

(١٦) اليواقيت والجواهر للشعرانى جا ص٢٤ .
(١٧) التعرف لمذهب أهل التصوف ص٨١ .
(١٨) المنقذ من الضلال ص٣٣ ، ص٤١ .

لقد خرج الغزالى من الشك عن طريق المنهج الصوفى (نور قذفه الله فى قلبـــه)[١٨] .

ومنهج الصوفية الذى يذكره الغزالى هو المنهج الوحيد لمســائل ماوراء الطبيعة . لكن هل معنى ذلك أن الكشف الصوفى لايصلح لما عدا ما وراء الطبيعـــة ؟ .

يقول بعض المحققين أنه لانص للغزالى فى هذه المسألة ولكنـــه يمكن أن يستنبط من بعض نصوصه انه لايقدر على الكشف الشامل فى جميع الأمور فيما وراء الطبيعة أو فى غيرها « الا من رسخه الله لتدبير عباده فى معاشهم ومعادهم ، وهم الأنبياء المؤيدون بروح القـــدس ، المستمدون من القوة الالهية ، التى تتسع لجميع الأمور ولاتضيق بها[١٩] .

نقد الطريقة الصـــوفية :

والذين ينكرون المعرفة الصوفية بما وراء الطبيعة عن طريق الرياضة والكشف نكتفى هنا بما سبق أن أجابهم به الشيخ عبد الواحد يحيى فى محاضرة له بجامعة السوربون قائلا :

(ان ذلك ليس ممكنا فحسب ولكن ذلك واقع موجود) سيقولون تلك قضـــية تفتقر الى برهان .

ولكن أى برهان يمكن أن يقدمه الانسان على وقوع ذلك الأمـــر ووجوده ؟ انه لمن الغريب حقا أن يطلب البرهان على امكان نوع من المعرفة بدل أن يحاول الانسان أن يصل اليها بتجربته الشخصية سالكا

---

(١٩) الحقيقة فى نظر الغزالى للدكتور سليمان دنيا ص١٧٦ — ٢٠٦ — ٢٠٧ .

اليها ما تتطلبه من سبيل ، أن الشخص الذى وصل الى هذه المعرفة لا يعنيه فى قليل أو كثير مايثور حولها من جدل أو نقاش » .

والى مثل ذلك يذهب الفارابى وابن سـينا ومحمد عبده[٢٠] فى تقويمهم للمنهج الصوفى ، ولنا فى هذا الموضوع نظرة أشمل غيما كتبناه عن فلسـفة التسليم[٢١] .

---

(٢٠) مقدمة الدكتور عبد الحيم محمود للمنقذ من الضلال ط٥ ص

(٢١) أنظر كتابنا « بحوث فى الفلسفة » .

أصول العقيدة

أصول العقيدة

يقول الامام القشيرى ت ٤٦٥هـ (أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة فى التوحيد صانوا بها عقائدهم عن البدع ، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة ، من توحيد ليس فيه تمثيل ولاتعطيل وعرفوا ماهو حق القدم ، وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم ، ولذلك قال سيد هذه الطريقة الجنيد (ت ٢٩٧هـ) رحمه الله :

« التوحيد افراد القدم من الحدث ، واحكام أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد .

كما قال أبو محمد الجريرى ت ٣١١هـ « من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور فى مهواة من التلف »

يريد بذلك : أن من ركن الى التقليد ، ولم يتأمل دلائل التوحيد سقط عن سنن النجاة ووقع فى أسر الهلاك ، ومن تأمل الفاظهم وتصفح كلامهم وجد فى مجموع أقاويلهم ومتفرقاتهم أن القوم لم يقصروا فى التحقيق عن شأو ، ولم يعرجوا فى الطلب على تقصير)[1] .

ثم يذكر الامام القشيرى جملا من متفرقات كلامهم فيما يتعلق بمسائل الأصول ، يحرر بعدها مايحتاج اليه فى الاعتقاد على وجه الاختصار .

فيقول فى الالهيات :

ان الحق سبحانه موجود قديم واحد حكيم قادر عليم قاهر رحيم مريد سميع مجيد رفيع متكلم بصير متكبر قدير حي باق صمد .

---

(١) الرسالة جـ١ ص٣٢ ومابعدها .

« وأنه عالم بعلم — قادر بقدرة — متكلم بكلام — سميع بسمع بصير ببصر — مريد بارادة — حى بحياة — باق ببقاء • ونه يدأن هما صفتان يخلق بهما مايشاء — سبحانه — على التخصيص •

وله الوجـــه •

وصفاته ذاتية مختصة بذاته لا يقال هى هو ولا هى أغيار له بل هى صـــفات أزلية ونعوت سرمدية •••

وأنه أحدى الذات ليس يشبه شيئا من المصنوعات ولا يشبهه شىء من المخلوقات • ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ، ولا صـــفاته أعراض • ولايتصور فى الأوهام ، ولايتقدر فى العقول ، ولا له جهة ولا مكـــان ولا يجرى عليه وقت وزمان ، ولا يجوز فى وصـــفه زيادة ولا نقصان ، ولا يخصه هيئة وقد ، ولا يقطعه نهاية وحد ولا يحله حادث •

ولايحمله على الفعل باعث ، ولايجوز عليه لون ولا كون ، ولاينصره مدد ولا عون ، ولايخرج عن قدرته مقدور •

ولا ينفك عن حكمه مفطور ، ولا يغرب عن علمه معلوم •

ولا هو على فعله — كيف يصنع ، ومايصنع — ملوم ، لايقال له أين ولا حيث ولا كيف • ولا يستفتح له وجود ، فيقال : متى كان •

ولاينتهى له بقاء فيقال استوفى الاجل والزمان ، ولايقال لم فعل مافعل اذ لاعلة لأفعاله ، ولايقال ماهو اذ لاجنس له فيتميز بأمارة عن أشكاله • يرى لا عن مقابلة ، ويرى غيره لا عن مماقلة ويصنع لا عن مباشرة ومزاولة •

له الأسماء الحسنى والصفات العلا ، يفعل مايريد ويذل لحكمـــه العبيد ، لايجرى فى سلطانه الا مايشاء ولايحصل فى ملكه غير ما سبق

به القضاء ماعلم أنه يكون من الحادثات أراد أن يكون ، وما علم أنــه لايكون مما جاز أن يكون أراد ألا يكون .

خالق أكساب العباد خيرها وشرها ، ومبدع مافى العالم من الاعيان والآثار قلها وكثرها .

ومرسل الرسل الى الامم من غير وجوب عليه ، ومتعبد الآنام على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما لاسبيل لاحد باللوم والاعتراض عليه . ومؤيد نبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة ، بما أزاح به العذر وأوضح به اليقين والنكر .

وحافظ بيضة الاسلام بعد وفاته — صلى الله عليه وسلم — بخلفائه الراشـــــدين .

ثم حارس الحــق وناصره بما يوضــحه من حجج الدين على ألسنة أوليــائه .

عصم الأمة الحنيفية عن الاجتماع على الضلالة ، وحسم مادة الباطل بما نصــب من الدلالة . وانجز ماوعد من نصره الدين بقــوله « ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

فهــذه فصول تشير الى أصــول المشايخ على وجه الايجاز وبالله التوفيــق [٢] .

ويشرح تاج الاســلام الكلاباذى ت ٣٨٠هـ قولهم فى التوحيــد بما يقارب ذلك ، فيقــول :

« اجتمعت الصوفية على أن الله واحد ، فرد صمد ، قديم عالم ، قادر حى ، ســميع بصير ، عزيز عظيم ، جميل كبير ، رحيم مريد ،

---

(٢) الرسالة القشيرية جا ص٣٢ الى ص٦٠ .

جواد رؤوف ، حكيم متكلم ، متكبر جبار ، باق أول ، اله سيد ، مالك رب ، رحمن ، خالق ، رزاق ، موصوف بكل ما وصف به نفسه من صفاته ، مسمى بكل ماسمى به نفسه ، لم يزل قديما بأسمائه وصفاته غير مشبه للخلق بوجه من الوجوه ، لا تشبه ذاته الذوات ، ولا صفته الصفا ت، لايجرى عليه شيء من سمات المخلوقين الدالة على حدثهم لم يزل سابقا متقدما للمحدثات موجودا قبل كل شيء لاقديم غيره ، ولا اله سواه • ليس بجسم ولا شبح ، ولا صورة ، ولا شخص ، ولا جوهر ، ولا عرض •

لا اجتماع له ولا افتراق ، لايتحرك ولايسكن ، ولاينقص ولايزداد، ليس بذى أبعاض ولا أجزاء ولا جوارح ولا أعضاء ولا بذى جهات ، ولا أماكن ••• لا يحويه مكان ، ولايجرى عليه زمان ، ولاتجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول فى الأماكن ، ولا تحيط به الأفكار ، ولا تحجبه الاستار ، ولا تدركه الأبصار •

قال بعض الكبراء فى كلام له :

لم يسبقه قبل ، ولايقطعه بعد ، ولا يصادره من ، ولا يوافقه عن ، ولا يلاصقه الى ، ولايحله فى ، ولا يوقفه اذ ، ولا يؤامره ان •
ولايظله فوق ، ولايقله تحت ، ولا يقابله حذاء ، ولايزاحمه عند ولا يأخذه خلف ولا يحده أمام •

ولا يظهره قبل ، ولا يفنيه بعد • ولا يجمعه كل • ولا يوجده كان ، ولا يفقده ليس ، ولا يستره خفاء •

تقدم الحدث قدمه ، والعدم وجوده ، والغاية أزله •

ان قلت : متى فقد سبق الوقت كونه •

وان قلت : قبل فالقبل بعده •

وان قلت : هو فالهاء والواو خلقه •

وان قلت : كيف فقد احتجبت عن الوصف بالكيفية ذاته .

وان قلت : أين فقد تقدم المكان وجوده .

وان قلت : ماهو فقد باين الأشياء هويته .

لايجتمع صفتان لغيره فى وقت ، ولايكون بهما على التضاد ، فهو باطن فى ظهوره ، ظاهر فى استتارة ، فهو الظاهر والباطن ، القريب والبعيد ، امتناعا بذلك من الخلق أن يشبهه .

فعله من غير مباشرة ، وتفهيمه من غير ملاقاة وهدايته من غير ايماء

لا تنازعه الهمم ، ولا تخالطه الأفكار ، ليس لذاته تكييف ولا لفعله تكليف .

وأجمعوا على أنه لا تدركه العيون ولا تهجم عليه الظنون ولاتتغير صفاته ، ولاتتبدل اسماؤه .

لم يزل كذلك ، ولايزال كذلك ، هو الأول والاخر والظاهر والباطن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

ثم يفصل الكلاباذى الكلام فى الصفات ، فيقول :
(أجمعوا على أن لله صفات على الحقيقة هو بها موصوف :

من العلم والقدرة ، والقوة ، والعز والحلم والحكمة والكبرياء والجبروت ، والقدم والحياة والارادة والمشيئة والكلام .

وانها ليست بأجسام ولا أعراض ولا جواهر كما أن ذاته ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر .

وان له سمعا وبصرا . ووجها ويدا على الحقيقة ليس كالاسماع والأبصار والأيدى الوجوه .

وأجمعوا أنها ليست هى هو ولا غيره

وليس معنى اثباتها له انه محتاج اليها وانه يفعل الأشياء بهـــا ولكن معناها نفى اضدادها واثباتها فى أنفسها وأنها قائمات به •

ليس معنى العلم نفى الجهل فقط ، ولا معنى القدرة نفى العجز ، ولكن اثبات العلم والقدرة ••• وكذلك جميع الصفات •

وليس وصفنا له بهذه الصفات صفة له ، بل وصفنا صـــفتنا وحكاية عن صفة قائمة به ، ومن جعل صفة الله وصفه له من غير أن يثبت لله صفة على الحقيقة فهو كاذب عليه فى الحقيقة • وذاكر له بغير وصـــفه • وليس هذا كالذكر فيكون مذكورا بذكر فى غيره ، لأن الذكر صـــفة للذاكر وليس بصـــفة للمذكور ، والمذكور مذكور بذكر الذاكر والموصوف ليس بموصوف بوصف الواصف ، ولو كان وصف الواصف صفة لكانت أوصاف المشركين والكفرة صـــفات له كنحو الزوجة والولد والأنـــداد •

وقد نزه الله تعالى نفســه عن وصـــفهم له فقال (سبحانه وتعالى عما يصفون) فهو عز وجل موصوف بصفة قائمة به ليست ببائنـــة عنه ، كما قال تعالى (ولايحيطون بشىء من علمه) وقال (أنزله بعلمه) وقال (ذو القوة المتين) (ذو الفضـــل العظيم) « فلله العزة جميعا » « ذى الاجلال والاكرام » •

وليس علمه قدرته ، وكذلك جميع صفاته من السمع والبصر والوجه واليد ، ليس سمعه بصره ، وغير بصره ، كما أنه ليس هى هو ولا غيره •

واختـــلفوا :

فى الاتيان والمجىء والنزول ، فقال الجمهور منهم أنها صـــفات له كما يليق به ولا يعبر عنها بأكثر من التلاوة والرواية ويجب الايمان بها ولا يجب البحث عنها •

وتأولها بعضهم ، فقال : معنى الاتيان منه ايصاله ما يريد اليه ، ونزوله الى الشيء اقباله عليه وقربه وكرامته ، وبعده اهانته وعلى هذا جميع هذه الصفات المتشابهة .

واختلفوا فى أنه لم يزل خالقا :

فقال الجمهور منهم ، والأكثرون من القدماء منهم والكبار :

انه لايجوز أن يحدث لله تعالى صـــفة لم يستحقها فيما لم يزل ، وانه لم يستحق اسم ا لخالق لخلق الخلق ، ولا لاحداث البرايا استحق اســـم البارىء ، ولا بتصوير الصور استحق اسم المصور ، ولو كان كذلك لكان ناقصا فيما لم يزل وتم بالخلق ، تعالى الله علوا كبيرا .

وقالوا : ان الله تعالى لم يزل خالقا بارئا مصورا غفورا رحيما شكورا ، وكذلك جميع صفاته التى وصف بها نفســـه ، يوصف بالعلم والقدرة والعز والكبرياء والقوة ، كذلك يوصف بالتكوين والتصـــوير والتخليق والارادة والكرم والغفران والشـــكر .

ولايفرقون بين صفة هى فعل ، وبين صفة لا يقال انها فعل ، مثل العظمة والجلال والعلم والقدرة .

وكذلك انه لما اثبت أنه سميع بصير قادر خالق بارىء مصـــــور وأنه مدح له ، فلو استوجب ذلك بالخلق ... لكان محتاجا الى الخلق ، والحاجة امارة الحدث .

وأخرى ان ذلك يوجب التغير والزوال من حال الى حال ... وذلك نحو الأفول الذى انتفى منه خليله ابراهيم عليه السلام بقوله « لا أحب الآفليـــن » .

والخلق والتكوين والفعل صـــفات لله تعالى وهو بها فى الأزل — موصوف ، والفعل غير المفعول ، وكذلك التخليق والتكوين ولو كانا جميعا

واحدا لكان كون المكونات بأنفسها ، لأنه لم يكن من الله اليها معنـــى سوى أنها لم تكن فكانت ...

ومنع بعضهم من أن يكون فيما لم يزل خالقا وقال انه يوجب كون الخلق معه فى القـــدم .

وأجمعوا أنه لم يزل مالكا الها ربا ، ولا مربوب ولا مملوك فكذلك يجـــوز أن يكون خالقا بارئا مصورا ولا مخلوق ولا مبرؤ ولا مصور .
واختلفوا فى الأسماء :

فقال بعضهم : أسماء الله ليست هى الله ولا غيره ، كما قالوا فى الصـــفات[٣] .

ويلخص الكلاباذى توحيد الصوفية فى سبعة أركان :

أفراد القـــدم من الحـــدث .

وتنزيه القديم عن ادراك المحدث له .

وترك التساوى بين النعـــوت .

وازالة العلة عن الربوبية .

واجلال الحق عن أن تجرى عليه قدره الحدث عليه

وتنزيهه عن التمييز والتأمـــل .

وتبرئته عن القياس)[٤] .

---

(٣) أنظر التعرف لمذهب أهل التصوف ص٤٧ الى ص٥٤ ..

(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٦٠ ..

الصـــوفية ومفهوم التوحيــد :

يذكر التهانوى فى كتابه كشاف اصطلاحات العلوم والفنون تعريفا للتوحيـــد مقارنا بين ما ذهب اليه « العلماء » وما ذهب اليه الصوفية فيقـــول :

(التوحيد لغه جعل الشىء واحدا ٠

وفى عبـــارة « العلماء » اعتقاد وحـــدانية الله تعالى ٠ وعنـــد « الصوفية » معرفة وحدانيته الثابتة له فى الأزل والأبد وذلك بألا يحضر فى شهوده — أى الصوفى — غير الواحد جل جلاله)[٥] ٠

ويفرق الصوفية بين التوحيد عن طريق العقل والاعتقاد ٠ فهـــذا توحيد جمهور الناس وهو العلم بالتوحيد » ٠

أما توحيد الخواص فهو « عين التوحيد » وهو تلك الحال من وحدة الشهود التى ليست علما ولا اعتقادا ٠٠٠

ويجرى الدكتور أبو العلا عفيفى هذه المقارنة فيقول

تعددت صيغ التوحيد وتباعدت معانيها ومراميها ٠

فمن القول بالا اله الا الله — وهو الصيغة الاسلامية الأولـــى البسيطة فى دلالتها ظهرت الصيغ التالية :

١ — لا اله الا الله المنزه تنزيها مطلقا عن كل مايتصوره العقـــل والوهم ، وهذا تصور المعتزلة والفلاسفة وبعض الصوفية[٦] ٠

---

(٥) كشـاف اصطلاحات العلوم والفنون جا ص١٤٦٨ ٠

(٦) أقول : بل هو التصور الاسلامى منذ عصر الرسول والصـــحابة والتابعين ، وسار على ذلك الأئمة وأهل السنة : اشاعرة وما تريدية ٠

٢ ـ لا فاعل ولا قادر ولا مريد على الحقيقة الا الله • وهو تصور بعض الصوفية الذين يفهمون توحيد الله فى صفاته وأفعاله على هـذا النحـو •

٣ ـ لا مشهود على الحقيقة الا الله • وهو قول الصوفية الذين لايرون شيئا الا ويرون الله معه •

٤ ـ لا موجود على الحقيقة الا الله • وهو قول أصـحاب وحدة الوجود من الصـوفية •

ان التوحيد الذى عرضه القشـيرى وعرض مثله الهجويرى فى كشف المحجوب ـ هو توحيد الصوفية المتأثرين بمذهب السلف وأهـل السنة ، وهو توحيد ان وقف عنده بعض الصوفية فقد تجاوزه آخرون الى توحيد أكثر تعقيدا وأدق معنى وأعمق روحانية نجد اشارات الى ذلك فيما أورده القشـيرى والهجويرى •

ان هناك مرتبة أخرى للتوحيد تحدث عنها الصوفية وأطلقوا عليها اسـم توحيد الخواص •••

وأول من تكلم فى هذا النوع من التوحيد مدرسة بغداد التى كان من رجالها سرى السقطى ، والحارث المحاسبى ، والجنيد ، والنورى ، والشبلى ، ••• وربما كان أبو القاسم الجنيد أبرز هؤلاء جميعا فى هذا المضمار وأدناهم الى الأصالة •••

وأبو القاسم الجنيد هو رائد الصوفية الذين تكلموا فى التوحيـد الذى هو توحيد القلب والشهود •

وبذا نقله من الميدان الكلامى الى الميدان الصوفى • وكتب فى ذلك رسالة خاصـة « رسالة التوحيد » •

والتوحيد فى نظر الجنيد أربع درجات :

١ ـ توحيـد العـوام •

٢ ـ توحيد أهل الظاهر •

٣ ـ توحيـد الخـواص •

٤ ـ توحيد خواص الخـواص •

وهذا هو الذى يعنينا وهو (أن يصل العبد الى حال يكون فيهـا شبحا قائما بين يدى الله ليس بينهما ثالث ، تجرى عليه تصاريف تدبيره فى مجارى أحكام قدرته ، فى لجج بحار توحيده ، بالفناء عن نفسـه وعن دعوة الخلق له وعن استجابته ، بحقائق وجود وحدانيته فى حقيقة قربه ، بذهاب حسـه وحركته لقيام الحق له فيما أراده منه وهو أن يرجع آخر العبد الى أوله فيكون كما كان قبل أن يكون)[٧] •

ومما ورد من النصوص فى هذا النوع من التوحيد الذى هو « وحدة الشهود » قول الجنيد وقد سئل عن التوحيد فقال :

وغنـى لى منـى قلبى وغنيت كمـا غنـى
وكنـا حيثمـا كانـوا وكانـوا حيثمـا كنـا

فهناك نجد التوحيد وقد أضفى عليه الجنيد صبغة صوفية فأصبح يرادف وحدة الشهود •

والتوحيد بهذا المعنى هو اسـم آخر للحال التى أطلق عليهـا الصوفية اسم « الفنـاء » •

وقد كان أبو يزيد البسطامى ت ٢٦١ أسبق من تكلم فى موضـوع الفناء واعتبره الدرجة القصوى فى سلم معراجه الروحى ••

يقول القشـيرى فى الفناء « ••• ومن استولى عليه سلطان الحقيقة

(٧) اللمع للطوسى ص٤٩ •

حتى لم يشهد من الاغيار لا عينا ولا أثرا ولا رسما ولا طللا يقال انه فنى عن الخلق وبقى بالحق ••

واذا قيل فنى عن نفسه وعن الخلق فنفســه موجودة والخلق موجودون ولكن لا علم له بهم ولا به ولا احساس ولا خبر •• » •

ويفرق الدكتور أبو العلا عفيفى بين وحدة الشهودة ووحدة الوجود ، فوحدة الشهود تجربة ، ووحدة الوجود نظرية ، ومن الجائز وجدانيا أن ينتقل القول بوحدة الشهود الى قول بوحدة الوجود لكنه ليس منطقيا ، لأن للصوفى أن يشعر وأن يصف شعوره ولكن ليس له أن يبنى على هذا الشــعور نظرية ميتافيزيقية •

وحدة الشهود هى حال خاصة حال الوجد أو الفناء •
يقــول فيها الصوفى لا أشهد سوى الله •

أما وحدة الوجود فهى أن يقول لا موجود الا الله •

ويرى أن من التجنى أن يوصف متصوفه القرنين الثالث والرابع مثل أبى يزيد البسطامى والجنيد والشبلى بأنهم من القائلين بوحدة الوجود فى حين أن أقوالهم صريحة فى وحدة الشهود المرادفة للتوحيد •

توحيد خواص الخواص عند الصوفية هو اذن توحيد الشــهود فى حال الفنــاء •

ومعنى الفنــاء كما قدمه القشــيرى لايسمح بالقول بالحلول •

ويقول السراج فى اللمع (من الكفر أن يقال ان الصوفى يفنى عن صفاته البشرية ويبقى بصفاته الالهية ، فليس الفناء الا الاذعان المطلق لارادة الله وقدرته • ان الله لاينزل الى قلب العبد وانما الذى ينزل الى قلب العبد هو الايمان به والاعتقاد بتوحيده ومحبة ذكره •

فان الله تعالى يخالف الحوادث فى ذاته وصفاته فكيف يتأتى الحلول ؟ ولايفنى الانسان عن ناسوتيته كما لايخرج السواد عن الثوب الأسود اما اذا تغيرت الصفات البشرية فانها تتغير لصفات أخرى بشرية.

ويقول الدكتور أبو العلا عفيفى (اما فناء الذات بمعنى محوها من الوجود وحلول الالهية محلها فأمر ينكره جمهور الصوفية فى ذلك العهد) « أى القرن الثالث والرابع »[٨] .

الصوفية وخلق القرآن ، وصفة الكلام ...

أجمعوا أن القران كلام الله تعالى على الحقيقة وأنه ليس بمخلوق ولا محدث ولا حدث . وأنه متلو بألسنتنا ، مكتوب فى مصاحفنا ، محفوظ فى صدورنا ، غير حال فيها كما أن الله تعالى معلوم بقلوبنا مذكور بألسنتنا معبود فى مساجدنا غير حال فيها . وأجمعوا أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض .

أما الكلام فقد اختلفوا فيه :

الأكثرون قالوا : كلام الله صفة الله لذاته لم يزل وانه لايشبه كلام المخلوقين بوجه من الوجوه وليسه له ماهية كما أن ذاته ليست له ما هية الا من جهة الاثبات .

وقال بعضهم : كلام الله أمر ونهى وخبر ووعد ووعيد وقصص وأمثال ، والله تعالى لم يزل آمرا ناهيا مخبرا واعدا موعدا حامدا ذاما ..

وأجمع الجمهور منهم على أن كلام الله تعالى ليس بحروف ولا

---

(٨) انظر : التصوف ثورة روحية للدكتور ابو العلا عفيفى من ص١٥٩ الى ص١٨٤ .

صوت ولا هجاء بل الحروف والصوت والهجاء دلالات على الكلام وأنها لذوى الآلات والجوارح •••

وقال طائفة منهم : كلام الله حروف وصوت وزعموا أنه لايعرف كلام الا كذلك مع اقرارهم أنه صفته تعالى ، فى ذاته غير مخلوق ، وهذا قول الحارث المحاسبى ومن المتأخرين ابن سالم •

والأصـــل فى هذا أنه لما ثبت أن الله تعالى قديم وأنه غير مشبه للخلق من جميع الوجوه ، كانت كذلك صفاته لاتشبه صفات المخلوقين فلا يكون كلامه حروفا وصوتا ككلام المخلوقين •

ولما أثبت الله لنفســـــه كلاما (وكلم الله موسى تكليما) وقال « حتى يسمع كلام الله » وجب أن يكون موصوفا به فيما لم يزل لأنه لو لم يكن موصوفا به فيما لم يزل لكان كلامه ككلام المحدثين ولكان فى الأزل موصوفا بضده من سكوت أو آفه •

الصـــوفية والرؤية والمشاهدة واليقين :

أجمعوا على أن الله تعالى يرى بالأبصار فى الآخـــرة وأنه يراه المؤمنون دون الكافرين •••

وجوزوا الرؤية بالعقل ، وأوجبوها بالسمع ، وانما جاز فى العقل لأنه موجود ، وكل موجود يجوز رؤيته اذا وضع الله فينا الرؤية له •• وأجمعوا أنه لايرى فى الدنيا بالأبصار ولا بالقلوب الا من جهة الايقان ، لأنه غاية الكرامة وأفضل النعم ولايجوز أن يكون ذلك الا فى أفضـــل المكان ولو أعطوا فى الدنيا أفضل النعم لم يكن بين الدنيا الفانية والجنة الباقية فرق ، ولما منع الله سبحانه كليمه موسى عليه السلام ذلك فى الدنيا والجملة أن الله تعالى أخبر أنها تكون فى الآخرة ، ولم يخبـــر أنها تكون فى الدنيا فوجب الانتهاء الى ما أخبر الله تعالى به(٩) •

---

(٩) التعرف لمذهب أهل التصوف ص٥٤ — ٥٨ •

أما كلام الصوفية عن « حال » المشاهدة فيقول أبو سعيد الخراز (فمن شاهد الله بقلبه خنس عنه مادونه ••• ولم يبق فى القلب الا الله عز وجل) •

وللصوفية أقوال لاتخرج بالمشاهدة الى دائرة الأبصار وأنها (تقتضى حال اليقين) وحال اليقين هو المكاشفة « والمكاشفة على ثلاثة أوجه :

مكاشفة العيان بالأبصار يوم القيامة •

مكاشفة القلوب بحقائق الايمان بمباشرة اليقين بلا كيف ولا حد

ومكاشفة الآيات باظهار القدرة للانبياء بالمعجزات ولغيرهم بالكرامات والاجابات • ثم أهل اليقين على ثلاثة أحوال ••

وأعلى أحواله حال الأكابر وهم خصوص الخصوص • ونهاية اليقين (الاستبشار وحلاوة المناجاة وصفاء النظر الى الله تعالى بمشاهدة القلوب بحقائق اليقين بازالة العلل ومعارضة التهم [١٠] •

ويلخص الامام القشيرى الفرق فيما يتصل بموضوع الرؤية بين المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة واليقين فيقول :

(المحاضرة ابتداء ثم المكاشفة ، ثم المشاهدة ••

فالمحاضرة حضور القلب، وقد يكون بتواتر البرهان •• ثم بعده المكاشفة وهو حضور بنعت البيان غير مفتقر فى هذه الحالة الى تأمل الدليل وتطلب السبيل ولا مستجير من دواعى الريب ولا محجوب من نعت الغيب •

ثم المشاهدة وهى حضور الحق من غير بقاء تهمة •••

---

(١٠) انظر : التصوف للدكتور أبو العلا عفيفى صـ ١٠٠ — ص١٠٤

وحق المشاهدة ماقاله الجنيد رحمه الله : « وجود الحق مع فقدانك » فصاحب المحاضرة مربوط بآياته ، وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته وصاحب المشاهدة ملقى بذاته . وصاحب المحاضرة يهديه عقله وصاحب المكاشفة يدنيه علمه ، وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته . أما اليقين :

(فعلم اليقين على موجب اصطلاحهم ماكان بشرط البرهان وعين اليقين ماكان بحكم البيان ، وحق اليقين ماكان ينعت العيان ، فعلم اليقين لأصحاب العقول ، وعين اليقين لأصحاب العلوم وحق اليقين لأصحاب المعارف[11] .

واختلف الصوفية **فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم** لربه تعالى ليلة المسرى فقال الجمهور منهم والكبار :

انه لم يره محمد — صلى الله عليه وسلم ببصره ولا أحد من الخلائق فى الدنيا . منهم الجنيد والنورى وأبو سعيد الخراز ،واحتجوا بماروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : من زعم أن محمدا رأى ربه فقد كذب .

وقال بعضهم : رآه النبى — صلى الله عليه وسلم — ليلة المسرى وأنه خص من بين الخلائق بالرؤية كما خص موسى عليه السلام بالكلام ، واحتجوا بخبر ابن عباس وأسماء وأنس ، ومن هؤلاء أبو عبد الله القرشى ، والشبلى ، وبعض المتأخرين .

وقال بعضهم رآه بقلبه ولم يره ببصره واستدل بقوله (ما كذب الفؤاد ما رأى) .

يقول الكلاباذى :

(ولانعلم أحدا من مشايخ هذه العصبة المعروفين منهم والمتحققين

---

(١١) الرسالة ص٢٢٦ ، ص٢٤٤ .

به ، ولم نر فى كتبهم ولا مصنفاتهم ولا رســـائلهم ولا فى الحكايات الصحيحة عنهم ، ولا سمعنا ممن أدركنا منهم أن الله تعالى يرى فى الدنيا أو رآه أحد من الخلق ، الا طائفة لم يعرفوا بأعينهم)[١٢] .

الصـــوفية والمتشابه :

ويذهب الصوفية فى المتشابه الى (اعتقاد صدق ماجاء من ذلك على الوجه الذى جاء عليه من غير خوض فى تفاصيله الا بما صـــح واتضـــح ...

وذلك ماقاله الشافعى رحمه الله اذ قال : « آمنا بما جاء عن الله على مراد الله ، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله » .

وقال مالك رحمه الله « الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة » .

وهو جواب كل مشكلة من نوعه فى جانب الربوبية كما أشار اليـــه السهروردى وقال : « انه مذهب الصوفية كافة ، فى كل صفة سمعية » والله أعلم)[١٣] لكن هل يمنع الكلام ألبتة فى المتشابه ؟ .

يقول ابن زروق :

(الكلام فى المحتمل بما يقتضيه من الوجوه السائغة فيـــه لايكر على أصل التفويض بالنقض اذا لم يعتقد أنه عين المراد به .

فأما مع ابهام احتماله فلا يضر ، لانه الأصل الذى يبنى عليه بعد نفى المحال ...

---

(١٢) التعرف ص٥٩ .

(١٣) قواعد التصـــوف لابن زروق ص٢٩ .

فمن ثم تكلم القوم فى التأويل بعد عقد التفويض ، والا فلا يصح أى لايصح منهم التأويل — بعد اجتماعهم عليه — أى بعد اجتماعهم على التفويض نعم ، التحقيق أن لاتفويض فى الأصل وانما هـو فى تعيين المحتمل ، للزوم طرح المحال • والله أعلم)[١٤] •

الصوفية وخلق الأفعال و « الاستطاعة »

أجمعوا أن الله تعالى خالق لأفعال العباد كلها ، كما أنه خـالق لأعيانهم ، وأن كل مايفعلونه من خير وشر فبقضاء الله وقدرتـه وارادته ومشـيئته •••

قال تعالى « قل الله خالق كل شىء »

ثم أن هناك بين حركة المرتعش وحركة غيره اجتماعا وافتراقا : ومجمع على أن حركة المرتعش خلق الله ، فكذلك حركة غيره غير أن الله تعالى خلق لهذا حركة واختيارا وخلق للاخر حركة ولم يخلق له اختيارا :

والاستطاعة قوة يخلقها الله فى العبد ، مع الفعل ، لا تتقـدم ولا تتأخر عنه ، ولايوجد الفعل الا بها ••

وليس هى الأعضاء السليمة ، بل مايرد من القوة على هذه الأعضاء والقوة عرض لايبقى وقوة كل فعل غير قوة غيره[١٥] •

الصوفية والكسـب والجبر :

(وأجمعوا أن لهم أفعالا واكتسابا على الحقيقة وهم بها مثابون ، وعليهـا معاقبون •

ومعنى الاكتساب أن يفعل بقوة محدثة •

---

(١٤) قواعد التصـوف ص٣٠ .
(١٥) المصدر السابق ص٦٠ ، ٦٤ .

وأجمعوا أنهم مختارون لاكتسابهم مريدون له وليسوا بحمولـين عليه ولا مجبرين عليه ولا مستكرهين له •

ومعنى قولنا : أن الله تعالى خلق لنا اختيارا فانتفى الاكراه فيها وليس ذلك على التفويض)[١٦] •

وأحال بعضهم الجبر وقال : لايكون الجبر الا بين الممتنعين ، وهو أن يأمر الآمر ويمتنع المأمور ، فيجبره الامر عليه ••• ولولا اكراهه واجباره اياه لفعل المتروك ، وترك المفعول •

ولم نجد هذه الصفة فى اكتسابهم الايمان والكفر والطاعة والمعصية بل اختار المؤمن الايمان وأحبه ، واستحسنه وأراده وآثره على ضده ، وكره الكفر وأبغضه واستقبحه ولم يرده ، وآثر عليه ضده •

والله خلق له الاختيار والاستحسان والارادة للايمان ، والبغض والكراهة والاستقباح للكفر ، قال تعالى (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان •

واختار الكافر الكفر واستحسنه وأحبه وأراده على ضده وكره الايمان وأبغضه واستقبحه ولم يرده وآثر عليه ضده ، والله تعـالى خلق ذلك كله قال عز وجل (كذلك زينا لكل أمة عملهم ••) وليس أحدهما بممنوع عن ضد ما اختاره ، ولا بمحمول على ما اكتسبه ولذلك وجبت حجة الله عليهم وحق عليهم القول من ربهم (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين)[١٧] •

---

(١٦) التعرف لأهل التصوف ص٦٤ •

(١٧) التعـرف .. ص٦٥ ، ٦٦ •

الصوفية ومسألة الاصلح :

أجمعوا أن الله لايجب عليه شيء ، وأنه يفعل بعباده ما يشاء كان ذلك أصلح لهم أو لم يكن ..

وأجمعوا أن جميع مافعل الله بعباده من الاحسان والهداية واللطف تفضل منه ، لو لم يفعل ذلك لكان جائزا .

وأجمعوا أن الثواب والعقاب ليس من جهة الاستحقاق لكنه من جهة المشيئة والفضل والعدل ..

وأجمعوا أنه لو عذب جميع من فى السماوات والأرض لم يكن ظالما ، ولو أدخل جميع الكافرين الجنة لم يكن ذلك محالا .

ولكنه أخبر أنه ينعم على المؤمنين ، ويعذب الكافرين وخبره صدق، فوجب أن يفعل بهم ذلك ولا يجوز غيره لأنه لا يكذب فى ذلك[١٨] .

الصوفية والحسن والقبح وأفعال الله :

الله لا يفعل الأشياء لعلة ..

ولايكون شيء منه ظلما أو جورا ..

وقال بعضهم القبيح مانهى عنه والحسن ما أمر به ..

وقال آخر : القبيح والحسن ما حسنه الله فى الأزل وما قبحه ..

الكبائر والصغائر :

أوجب بعضهم غفران الصغائر باجتناب الكبائر لقوله تعالى : « أن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم » .

وجوز بعضهم العقوبة فى الصغائر كالكبائر لقوله تعالى (أن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) .

---

(١٨) التعرف ص٦٨ الى ٧٠

وجوزوا غفران الكبائر بالمشيئة والشفاعة[١٩] ..

وأوجبوا الخروج من النار لأهل الصلاة لا محالة بايمانهم قال تعالى (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) . فجعل المشيئة شرطا دون الشرك .

وجملة قولهم أن المؤمن بين الخوف والرجاء يرجو فضـل الله فى غفران الكبائر ، ويخاف عدله فى العقوبة على الصغائر ، لأن المغفرة مضمون المشيئة ، ولم يأت مع المشيئة شرط كبيرة ولاصغيرة .

ومن شدد وغلظ شرائط التوبة وارتكاب الصغائر فليس ذلك منهم على ايجاب الوعيد ، بل ذلك على تعظيم الذنب فى وجوب حق الله فى الانتهاء عما نهى عنه ولم يجعلوا فى الذنوب صغيرة الا عند نسبة بعضها الى بعض ، فطالبوا النفوس بايفاء حق الله تعالى ، والانتهاء عما نهى الله عنه وهم مع ذلك أرجى الناس للناس ، وأشدهم خوفا على أنفسهم حتى كأن الوعيد لم يرد الا فيهم وهم أحسن الناس ظنونا بربهم[٢٠] .

الصوفية ومفهوم الايمان والاسلام : —

الايمان عند الجمهور منهم :

قول ، وعمل ، ونيـة ، ومعنى النية التصـديق ...

وأجمعوا أن وجوب الايمان ظاهرا كوجوبه باطنا ، وهو الاقرار غير أنه قسط جزء من أجزاء الظاهر دون جميعه ، ولما كان قسط الباطن من الايمان قسط جميعه وجب أن يكون قسط الظاهر من الايمان قسط جميعه ، هو العمل بالفرائض لأنه يعم جميع الظاهر كما عم التصـديق جميع الباطن فالمقصود بالعمل أعم من الاقرار ..

---

(١٩) التعرف ص٦٨ الى ص٧٠ .

(٢٠) التعرف ص٧٠ الى ص٧١ .

وقالوا الايمان يزيد وينقص ..

وقال الجنيد وسهل وغيرهما من المتقدمين :

ان التصديق يزيد ولاينقص ، ونقصانه يخرجه من الايمان وزيادته من جهة القوة واليقين .

واقرار اللســـان لا يزيد ولا ينقص .

وعمل الأركان يزيد وينقص .

وقال بعضـــهم :

زيادة الايمان ونقصانه من جهة الصفة لا من جهة العين ...

والدين الاســـلام :

وهو والايمان واحد عند من لايرى العمل من الايمان .

وجعل بعضهم الايمان والاسلام واحدا وفرق بعضهم بينهما فقال من فرق بينهما :

الاســـلام عام والايمان خاص .

وقال بعضهم : الاسلام ظاهر والايمان باطن .

وقال بعضهم : الايمان تحقيق واعتقاد والاسلام خضوع وانقياد .

وقال بعضهم : التوحيد سر وهو تنزيه الحق عن دركه .

والمعرفة بر وهو أن تعرفه بصفاته .

والايمان عقد القلب بحفظ السر ومعرفة البر .

والاسلام مشاهدة قيام الحق بكل ما أنت به مطالب)[٢١] .

قولهم فى العمـــل :

أجمعوا أن جميع مافرض الله تعالى على العباد فى كتابه وأوجبـــه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض واجب ، وحتم لازم على العقلاء

---

(٢١) التعرف ص٩٦ ص١٠١ .

البالغين لايجوز التخلف عنه ولايسع التفريط فيه بوجه من الوجوه لأحد من الناس : من صديق وولى وعارف وان بلغ أعلى المراتب ، وأعلى الدرجات وأشرف المقامات ، وأرفع المنازل .

وأنه لا مقام للعبد تسقط معه آداب الشريعة ، من اباحة ما حظر الله ، أو تحليل ماحرم الله ، أو تحريم ماأحل الله ، أو سقوط فرض من غير عذر ولا علة والعلة ماأجمع عليه المسلمون وجاءت به أحكام الشريعة ومن كان أصفى سرا وأعلى رتبة وأشرف مقاما فانه أشد اجتهادا وأخلص عملا وأكثر توقيا[٢٢] .

وأجمعوا على اباحة المكاسب من الحرف والتجارات والحرث وغير ذلك مما أباحته الشريعة على تيقظ وتثبت للتعاون وحسم الأطماع ونية العود على الغير والعطف على الجار .

وسبيل المكاسب عند الجنيد على ماسبق من الشرط سبيل الأعمال المقربة الى الله عز وجل .

وهو عندهم واجب لمن ربط به غيره ممن يلزمه فرضه[٢٣] . وهم يأخذون لأنفهم بالأحوط والأوثق فيما اختلف فيه الفقهاء ، وهم مع اجماع الفريقين فيما أمكن ، ويرون اختلاف الفقهاء صوابا ولا يعترض الواحد منهم على الآخر ، وكل مجتهد عندهم مصيب وكل من اعتقد مذهبا فى الشرع وصح ذلك عنده بما يصح مثله مما يدل عليه الكتاب والسنة وكان من أهل الاستنباط فهو مصيب باعتقاده ذلك : ومن لم يكن من أهل الاجتهاد أخذ بقول من أفتاه ممن سبق الى قلبه من الفقهاء أنه أعلم وقوله حجة له[٢٤] .

---

(٢٢) التعرف ص٧٥ — ٧٦ .

(٢٣) التعرف ص١٠٢ — ١٠٣

(٢٤) التعرف ص١٠١ — ١٠٢ .

الصـــوفية والمفاضلة بين الأنبياء والملائكة والأولياء :

بين الملائكة والرســـل :

— سكت الجمهور عن اجراء المفاضـــلة ..

— وفضل بعضهم الرســـل .

— وفضل بعضهم جملة الملائكة على جملة المؤمنين وفى المؤمنـــين من هو أفضل من الملائكة وأجمعوا أن بين الرسل تفاضلا وأوجبوا فضل محمد صلى الله عليه وسلم .

بين الرســـل والأولياء :

أجمعوا أن الأنبياء أفضل البشر ، بما فيهم الأولياء .

وقال أبو يزيد البســـــطامى : آخر نهايات الصديقين أول أحوال الأنبياء ، وليس لنهاية الأنبياء غاية تدرك(٢٥) .

الرســـل والعصـــمة :

(قال الجنيد والنورى وغيرهما من الكبار :

ان ماجرى على الأنبياء انما جـــرى عـــلى ظواهرهم وأسرارهم مستوفاة بمشاهدات الحق ...

قالوا ومعاتبات الحق لهم انما جاءت اعلاما للأغيار ليعلموا عنـــد اتيانهم المعاصى مواضع الاستغفار ..

وأثبتها بعضهم وقالوا :

انها كانت على جهة التأويل والخطأ فيه .

---

(٢٥) التعرف ص٨٤ ، ٨٥ .

وقال بعضـــــهم :

انها كانت على جهة الســـهو والغفلة وجعلوا ســـهوهم فى الأدنى بالأرفـــع ....

وكل من أثبتها زللا وخطايا فانهم جعلوها صغائر مقرونة بالتوبة .

فالأنبياء معصومون عن ارتكاب المناهى ، ومحفوظون فى الفرائض عن التقصـــير ، فلا يوصفون بالنقصان فى شىء من أوصافهم فى حقـــائق الايمان [٢٦] .

قولهم فى الـــروح :

قال الجنيد : الروح شىء استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه ، ولايجوز العبارة عنه بأكثر من موجود ، لقوله تعالى « قل الروح من أمر ربى » .

قال أبو عبد الله البناجى : الروح جسم يلطف عن الحس ، ويكبر عن اللمس ولا يعبر عنه بأكثر من موجود .

قال ابن عطاء : خلق الله الأرواح قبل الأجساد لقوله تعـــالى : « ولقد خلقناكم » يعنى الأرواح (ثم صورناكم) يعنى الأجســـاد . وقال غيره الروح لطيف قام فى كثيف وأجمع الجمهور على أن الـــروح معنى يحيا به الجسد[٢٧] .

---

(٢٦) التعرف ص٨٦ ـــ ٩٩ .

(٢٧) التعرف ص٨٣ .

« قولهم فى حقيقة الولاية وأصحاب البشرى بالجنة »

الولاية ولايتان : ولاية تخرج من العداوة وهى لعامة المؤمنين فهذه لاتوجب معرفتها والتحقق بها للاعيان ، لكن من جهة العموم فيقـــال : المؤمن ولى الله وولاية اختصــــاص واصطناع وهذه توجب معرفتها والتحقق بها ، ويكون صاحبها محفوظا عن النظر الى نفسه فلا يدخله عجب ويكون مسلوبا من الخلق ، بمعنى النظر اليهم بحظ فلا يفتنونه ، ويكون محفوظا عن افات البشرية ، وان كان طبع البشرية قائما معه باقيـــا فيه ، وهذه هى خصوص الولاية من الله للعبد •

ومن كان بهذه الصفة لم يكن للعدو اليه طريق بمعنى الاغـــواء • لقوله جل وعز : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان »(٢٨) وهو مع هذا ليس بمعصوم من صغيرة ولا كبيرة •

وزوال خوف العاقبة ليس بممتنع ، بل هو جائز ، فقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بأنهم من أهل الجنة والراوى له سعيد بن زيد وهو أحد العشرة المبشرة بالجنة وشهادة النبى صلى الله عليه وسلم توجب سكونا اليها وطمأنينة بها وتصديقا لها ، وهذا يوجب الأمن من التغيير وزوال خوف التبديل لا محالة •

والروايات التى جاءت فى خوف المبشرين من قول أبى بكر رضى الله عنه : ياليتنى كنت تمرة ينقرها الطير •

وقول عمر رضى الله عنه : ياليتنى كنت هذه النبتة : ليتنى لم أر شـــيئا •

وقـــول أبى عبيـــدة بن الجراح رضى الله عنه : وددت أنى كبش فيذبحنى أهلى ويأكلون لحمى ، ويحسون مرقى •

---

(٢٨) ســـورة الحجر ٤٢ •

وقول عائشة رضى الله عنها : ياليتنى كنت ورقة من هذه الشجرة وهى من شهدلها عمار بن ياسر على منبر الكوفة فقال : أشهد أنها زوجة النبى صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة ... انما كان ذلك خوفا من جريان المخالفات عليهم ، اجلالا لله تعالى وتعظيما لقدره ، وحياء منه بأنهم أجلوا الحق أن يخالفوه وان لم يعاقبهم(٢٩) .

« قولهم فى كرامات الأولياء »

أجمعوا على اثبات كرامات الأولياء : وان كانت تدخل فى باب المعجزات كالمشى على الماء ، وكلام البهائم ، وطى الأرض ، وظهور الشىء فى غير موضعه ووقته وقد جاءت الأخبار بها ، وصحت الروايات ، ونطق بها التنزيل : من قصة الذى عنده علم من الكتاب فى قوله تعالى : « أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك »(٣٠) وقصة مريم حين قال لها زكريا : « أنى لك هذا قالت هو من عند الله »(٣١) ، وجواز ذلك فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وغير عصره واحد ، ذلك أنه اذا كانت فى عصر النبى للنبى صلى الله عليه وسلم على معنى التصديق له ، كان فى غير عصره على معنى التصديق ، وقد كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين نادى سارية قال لسارية : ياسارية بن حصن ، الجبل وعمر بالمدينة على المنبر وسارية فى وجه العدو على مسيرة شهر .

والأخبار فى هذا كثيرة وافرة .

وانما أنكر جواز ذلك من أنكر ، لأن فيه زعم ابطال النبوات لأن النبى لايظهر عن غيره الا بمعجزات يأتى بها تدل على صدقه ويعجز عنها غيره فاذا ظهرت على يدى غيره لم يكن بينه وبين من ليس بنبى فرق ولا دليل على صدقه .

---

(٢٩) التعرف .. ص٨٧ الى ص٩٢ .
(٣٠) سورة النمل : ٤٠ .
(٣١) سورة آل عمران : ٣٧ .

وقالوا : وفيه تعجيز الله عن اظهار نبى عن من ليس بنبى :

قال أبو بكر الوراق : النبى لم يكن نبيا للمعجزة [٣٢] ، وانما كان نبيا بارسال الله تعالى اياه ووحيه اليه : فمن أرسله الله وأوحى اليه فهو نبى ، كانت معه معجزة أو لم تكن ، ووجب على من دعاه الرسول الاجابة له ، وان لم يره معجزة ، وانما كانت المعجزات لاثبات الحجة على من أنكر ، ووجوب كلمة العذاب على من عاند وكفر ، وانما وجبت الاجابة للنبى بدعوته لأنه يدعوه الى ما أوجب الله عليه : من توحيده ، ونفى الشركاء عنه ، واتيان ماليس فى العقل استحالته ، بل وجوبه أو جوازه •

والأصل فى ذلك أنهما عينان : نبى ومتنبى ، فالنبى صادق ، والمتنبى كاذب •

وأجمعوا : أن الصادق يؤيده الله بالمعجزات ، والكاذب لا يجوز له مايكون للصادق ، لأن فى هذا تعجيز الله عن اظهار الصادق من الكاذب•

فأما اذا كان ولى صادق وليس بنبى ، فانه لايدعى النبوة ، ولا ما هو كذب وباطل ، وانما يدعو الى ماهو حق وصدق فان أظهر عليه الله الكرامة ، لم يقدح ذلك فى نبوة النبى ، ولا أوجب شبهة فيها ، لأن الصادق يقول مايقوله النبى ، ويدعو اليه النبى فظهور الكرامة له تأييد للنبى ، واظهار لدعوته ، والزام لحجته ، وتصديق له فيما يدعوه ويدعيه: من النبوة واثبات توحيد الله عز وجل •

وجوز بعضهم أن يرى الله أعداءه فى خاصة أنفسهم وفيما لا يوجب شبهة : مايخرج من العادات ، ويكون ذلك استدراجا لهم وسببا لهلاكهم

---

(٣٢) انظر رأينا فى دلالة المعجزة ونظرة القرآن اليها فى كتابنا « الأسس المنهجية فى بناء العقيدة الاسلامية » •

وذلك أنها تولد فى أنفســهم تعظما وكبرياء ، ويرون أنها كرامات لهـم استأهلوها بأعمالهم واســتوجبوها بأفعالهم ، فيتكلمون على أعمالهم ، يرون لهم الفضــل على الخلق فيزرون (٣٣) بعباده ، ويأمنون مكــره ويســتطيلون على عباده .

وأما الأولياء فانهم اذا ظهر لهم من كرامات الله شىء أزدادوا لله تذللا وخضوعا وخشــية واستكانة ، وازراء بنفوســهم وايجابا لحــق الله عليهم ، فيكون ذلك زيادة لهم فى أمورهم ، وقوة على مجاهداتهم ، وشكرا لله تعالى على ما أعطاهم .

فالذى للأنبياء معجزات وللاولياء كرامات ، وللاعداء مخادعات .

وقال بعضهم : ان كرامات الأولياء تجرى عليهم من حيث لايعلمون والأنبياء تكون لهم المعجزات وهم بها عالمون ، وباثباتها ناطقون ، لأن الأولياء قد يخشى عليهم الفتنة مع عدم العصمة ، والأنبياء لايخشى عليهم الفتنة بها ، لأنهم معصومون .

قالوا : وكرامة الولى باجابة دعوة ، وتمام حال ، وقوة على فعــل وكفاية مؤنة ، يقوم لهم الحق بها ، وهى مما يخــرج عن العــادات ومعجزات الأنبياء : اخراج الشىء من العدم الى الوجود ، وتقليب الأعيان

وجوز بعض المتكلمين ، وقوم من الصوفية ، اظهارها على الكذابين من حيث لايعلمون ، وقت مايدعونها فيما لايوجب شبهة ، كما روى فى قصة فرعون من جرى النيل معه ، وكما أخبر النبى صلى الله عليــه وسلم فى قصة الدجال : أنه يقتل رجلا ثم يحييه فيما يخيل اليه .

قالوا : انما جاز ذلك ، لأنهما ادعيا مالا يوجب شبهة لأن أعيانهما تشهد على كذبهما فيما ادعياه من الربوبية .

---

(٣٣) فيتهاونون بهم ويحتقرونهم .

واختلفوا فى الولى : هل يجوز أن يعرف أنه ولى أم لا ، فقــال بعضهم : لايجوز ذلك ، لأن معرفة ذلك تزيل عنه خوف العاقبة وزوال خوف العاقبة يوجب الأمن ، وفى وجوب الأمن زوال العبودية لأن العبد بين الخوف والرجاء ، قال الله تعالى : (ويدعوننا رغبا ورهبا)(٣٤) وقال الأجلة منهم والكبار : يجوز أن يعرف الولى ولايته ، وأنها كرامة من الله تعالى للعبد ، والكرامات والنعم يجوز أن يعلم ذلك فيقتضى زيادة الشـــكر .

والكرامة عند الولى ليست موضع مباهاة ، أو قمة سلوك .

يقول الطوسى : ذكر عند سهل بن عبد الله رحمه الله الكراما تفقال وما الآيات وما الكرامات ؟ شىء تنقضى لوقتها ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاق نفســك بخلق محمود . وعن أبى يزيد البســـطامى رحمه الله أنه قال : كان فى بدايتى يرينى الحق الآيات والكرامات فلا ألتفت اليها فلما رآنى كذلك جعل لى الى معرفته سبيلا .

وقيل لأبى يزيد : ان فلانا يمشى على الماء ؟ فقال : الحيتان فى الماء والطير فى الهواء أعجب من ذلك.

وقال أيضا : لو أن رجلا بسط مصلاة على الماء وتربع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه فى الأمر والنهى .

وقال بعض المشايخ : لاتتعجبوا ممن لم يضع فى جيبه شـــيئا فيدخل يده فيخرج من جيبه مايريد ، ولكن تعجبوا ممن وضع فى جيبـــه شيئا فيدخل يده فى جيبه فلا يجده فلا يتغير(٣٥) .

وفى الكرامات يضع الشيخ الشعرانى حدودا للنظر اليها أو التعلل بها بالرغم من كونه من كبار الصوفية الذين أكثروا الحديث فيها .

---

(٣٤) ســـورة الأنبياء ٩٠ .

(٣٥) اللمع للطوسى ص٤٠٠ الى ص٤٠٣ .

انه اذ يروى فى كتابه الأخلاق المتبولية حديث بعض مشـــايخه عما أفاض الله عليهم من العلوم بطريق خارق للعادة يذكر فى الوقت نفسه ما يقيدون به ذلك كله من قيود اسلامية فيروى ماقاله الشيخ ابراهيـــم المتبـــولى :

(•• وعزة ربى قد أعطانى الله ذلك وأنا ابن أربع سنين ، فـــلم ألتفت الى ذلك لاننا لم نخلق لذلك ، وانما خلقنا للعمل بالكتاب والسنة واقتفاء أثر الأئمة) جـ١ ص٩٩ •

ويروى أيضا عنه قوله ــ بعد أن يذكر طرفا من خوارق العـــادات التى أنعم الله بها على كبار الصوفية : (•• وعزة ربى هذا أمر قد أعطانى الله عز وجل وأنا دون البلوغ فلم أقف معه ، وانما الشأن يا ولدى فى الاقبال على ربك بحيث لايكون لك عنه اعراض فى ساعة من ليل أو نهار ، والله أن قول العبد : سبحان الله مرة واحدة أفضل من اطلاعه على ملكوت الدنيا والاخرة على التفصـــيل) جـ١ ص١١٥ •

ويقـــول :

(ومن أخلاقهم كراهتهم وقوع الخوارق على يديهم فى هذه الدار• لأن محل ذلك انما هو دار الاخرة حين يعطى أهل الجنة أن أحدهم يقول للشىء كن فيكون • فمن اختار وقوع الخوارق على يديه فقد اختـــار العرض الفانى على الجوهر الباقى) جـ١ ص٤٢٧ •

ويقـــول أيضـــا :

(ومن أخلاقهم عدم اظهار الكرامات الا لغرض شرعى ••) جـ٢ ص ٣٩٩ •

ويقـــول :

(وربما ظن بعض الناس أن صاحب الكشف من أرباب الأحوال أعلى مقاما من ذلك العارف الذى لا كشف له ، وليس كذلك ، لأن علو المقام

انما هو بحفظ الأنفاس مع الله تعالى ، والاستقامة على الشريعة المطهرة وأما الكشف والطيران فى الهواء والمشى على الماء فليس فى ذلك أجر فانه لم يرد قط حديث « أن من كشف له عن كذا كتب له حسنة ..) جـ ١ ص ٤٤٦ .

ويقــول :

(اذ الكاملون لا كشف لهم ، رحمة من الله بهم لاسيما اطلاعهم على زلات الناس) . جـا ص٤٤٦ .

ويقــول :

(ومن أخلاقهم عدم التعشق الى معرفة الأمور المستقبلة ، فلا يطلبون شيئا من ذلك بخلاف أرباب الأحوال) جـا ص٤٤٦ .

وأرباب الأحوال هؤلاء هم الذين يقول عنهم (أنهم من أقســام المجاذيب فى عدم التكليف) . ويقول فى شأنهم : « والمتسرع لايتبع هؤلاء فى مثل ذلك أبدا » جـا ص٤٥٢ .

والمؤلف يوضح نظرة الصوفية الى حقيقة الفعــل فى الكرامة ، اذ يبين أنهم يعلمون بحق ، أن خوارق العادات لا تختلف عن غيرها من أفعال الله تعالى التى تجرى على سنن الله ، أو مايسمى اليوم قوانــين الكون والطبيعة « فلا فرق عندهم بين الكرامة وبين سائر الأفعال الواقعة فى الوجود » جـا ص٤٢٧ .

وهم يقررون لا فعل لهم فى خرق العادة « وغاية أمرهم أنهم محل لبروزها فقط ، والفعل فيها لله وحده تعالى » .

ويقول : (ان العلوم الكشفية لا تأتى قط الا موافقة للشريعــة لانها أخبار بالأمور على ماهى عليه فى نفسها كما هو الأمر فى الشريعة المطهرة) جـا ص١٠٥ .

وفى هذه القيود الكفاية كل الكفاية لكل من يتخوف من الاشتغال بأخبار الكرامات • ان الامام الشعرانى فى هذه النصوص التى يرويها عن شيخه يضع المقاييس لصحة الأخذ بما يروى عن الكرامات •

الأول : أن لايكون الالتفات اليها ، وانما الى العمل ••

الثانى : أن يكون العمل أساسا بما جاء فى الكتاب والسنة وأثر السلف الصالح من الأئمة •

الثالث : عرض الأمر كله على الكتاب والسنة ليؤخذ منه ما يتفق معها ويرفض مايختلف •

واذا تم الأخذ بهذه المقاييس فأى محظور يقوم على الكرامات فى اطار الجو الاسلامى ؟ •

يقول امام الحرمين أبو المعالى عبد الملك الجوينى رضى الله عنه عن الكرامات فى العقيدة النظامية :

(قد كثر خبط الناس فى اثباتها ونفيها ، وقد ألفت فى أثباتها والرد على منكريها كتابا •

وأنا الان أذكر لبابه فى أسطر ان شاء الله تعالى فأقول :

خوارق العادات ليست من فعل العباد ، وانما هى من فعل الرب تعالى وتقدس • فمن فطر السموات والأرض وسيطوى السماء ويبدل الأرض غير الأرض ويسير الجبال ويفجر البحار وينشر الموتى قادر على أن يأتى ببديعة •

وليس فى فرض الاتيان بها قدح فى النبوات ، فانا ذكرنا أن المعجزة لاتدل بعينها وانما من حيث تقع على وفق الدعوى فى النبوة أوقع الله تعالى مايشاء ، مايعتاد وما لايعتاد ، فليس فى تجويز الكرامات قدح فى النبوات اذا وقعت الاحاطة بوجه دلالة المعجزة •

وماجاز فى قدرة الله ولم ينخرم به الاعجاز وقد نطق به القرآن وتواترت به الاخبار فلا يجحده الا مرتاب) أ هـ من العقيدة النظامية ص٥٢ •
فأى حظر يقول بعد ذلك على الكرامات بدعوى أنها من باب الخرافات والأساطير انما يكون مرجعه الى قيم غير اسلامية ، يعتنقها المنكرون عن وعى بمصدرها ومدلولها ، أو ينساقون اليها — عن غير وعى — متأثرين بالسموم الالحادية التى تسربت الى بعض الأوساط من المثقفين وأشباههم

ان هؤلاء ينكرون الكرامات لمجرد أنها تقوم على « خرق العادة » أو (خرق قوانين الطبيعة) ان هؤلاء — اذا لم يتناقضوا مع أنفسهم — لابد أنهم ينكرون « الوحى » لأنه « خرق للعادة » ولقوانين الطبيعة ، ولابد أنهم ينكرون القرآن باعتباره كلاما لله سبحانه وتعالى فهو « خرق للعادة ولقوانين الطبيعة » ولابد أنهم ينكرون ماجاء عن خلق آدم ، وعن خلق عيسى ، وينكرون البعث والجنة والنار ، والسمعيات المشابهة ، لأن فى ذلك كله تجاوزا للعادة ولقوانين الطبيعة •

ان النقاش مع هؤلاء يجب أن ينتقل من الجو الاسلامى الى جو الالحاد بصفة عامة •

ومثل هؤلاء كثر لغطهم منذ قام الاعداد لحرب العاشر من رمضان على ادخال عنصر الايمان فى نفوس القادة ، والجنود ، ومنذ أعطى التفسير للنصر فى هذه الحرب على أنه يرجع الى القوة الروحية الكامنة فى الايمان بالله وفى نداء الله ، « الله أكبر » •

ومنذ ذلك الوقت هاج المنكرون واستنفروا معهم السذج لكى يفرضوا تفسيرهم الالحادى على ساحة النصر ، ثم ليفرضوا قيمهم على أفق المستقبل وهؤلاء يدعون العلم ويريدون أن يذيعوا بين الناس — زورا وبهتانا ان الايمان بالله ، ورسله وكتبه واليوم الاخر ، والغيبيات بصفة عامة يتعارض مع العلم •

وهم فى هذا يجهلون الدين والعلم معا •

أما أنهم يجهلون الدين ، فلان الدين — وأعنى الدين الاسلامى — يقر القوانين الطبيعية على أنها من سنة الله سبحانه وتعالى ، ومن وضعه جل علاه • وأنه انما وضعها لمصلحة البشر ولكى تستقيم حياتهم على نسق ثابت معلوم ينأى بهم عن الاضطراب والقلق والتمزق •

واذا كانت قوانين الطبيعة موضوعة بارادة الله فثباتها يرجع اليه سبحانه وهو الضامن الوحيد لها • وهو الذى يخرقها ان أراد تذكيرا لعباده ، وردا لهم الى مصدر الأشياء فى الكون •

ومن ثم فانه سبحانه وتعالى وضعهم أمام أمثلة لخرق العادة لا تنكر ، منخلق آدم أولا ، وخلق عيسى ثانيا ومن الوحى القائم بين أظهرهم دائما « القرآن » وهو يضعهم أيضا أمام أمثلة تتجدد لهذا الخرق • لاينكرها الا معاند متعصب • وهذا الخرق لايعنى غير هذا التذكير الذى أشرنا اليه ، وهو لايعنى البتة أن يتخذ نسقا أو نمطا للحياة الدنيا ، ولقد رأينا كيف أن الصوفية يدركون ذلك •• وكيف عبر عنهم الامام الشعرانى فيما رواه عن شيخه فى قوله : فلم ألتفت الى ذلك لأننا لم نخلق لذلك •

فكتاب الاخلاق المتبولية فى هذا الصدد يعتبر اسهاما صوفيا أصيلا فى وضع مسألة الكرامات فى وضعها الاسلامى الصحيح ، يتجنب الانكار والتزيد فى وقت واحد •

أما أن منكرى الكرامات على النحو الذى ذكرناه ينكرون العلم فى الوقت نفسه ، فلأنهم مازالوا مع رجعيات العلم فى القرن السابع عشر ، والثامن عشر ، والنصف الأول من القرن التاسع عشر ••

أما العلم « الحديث » فله موقف آخر :

لقد قال نيوتن عن القوانين الكونية « هذا هو أسلوب الله فى العمل ، فالله يجرى مشيئته فى الكون بواسطة أسباب وعلل •• » •

ونحن جميعا نشاهد المغناطيس وهو يشد نحوه الحديد • وقد أقام العلماء نظريات كثيرة لشرح هذه الظاهرة • ولكن أحدهم كتب يعلق على هذه النظريات قائلا : « اننا لانعرف لماذا يشد المغناطيس الحديد نحوه » ربما لأن الله أصدر الى المغناطيس أمرا بذلك •

وأن العلم الحديث أصبح يسلم اليوم بحقائق ماكانت تخطر على البال من قبل الا من باب الخرافة أو المستحيل •

لقد أثبتت النظرية النسبية أن الأطوال تنكمش ، وان الجسم يختفى ، وان كتلة الجسم تزداد الى مالا نهاية ، وأن الحادثة الواحدة تحدث فى أوقات مختلفة بالنسبة لاختلاف المكان وأن الزمن يختلف بطئا وسرعة بالنسبة •• لاختلاف الكتلة فى الكبر والصغر •

كذلك أثبت البحث العلمى الحديث « أن الذرة حرة فى أن تعمل هذا أو ذاك فى اطار علاقة هيزنبرج لعدم التحدد• وكل أحكامنا عنها تشير الى احتمالات لا الى يقينات » •

واقد دخل أخيرا فى مجال البحث العلمى مايسمى « السيكوترونات » أو تفاعل الطاقات النفسية عن بعد ، وهى كما يقول الدكتور رجداك « يمكن أن تقودنا الى حافة ثورة جديدة فى العلم » والظواهر التى يدرسها هذا العلم وهى التخاطر والمعرفة عن طريق الاتصال الروحى والتحريك عن بعد أصبحت من الظواهر التى يمكن اخضاعها للبحث العلمى عن طريق اعادتها وتكرارها فى أى وقت ، ولدى أشخاص وهبوا قابلية ممتازة للمشاركة المباشرة فى الاحداث « السيكوترونية » ••

ولقد كان العالم النفسانى يونج هو الذى اقتنع بأن الانسان فى مجموعه لايمكن أن يفهم فهما كاملا اذا أهملنا دراسة قدرته فى

التخاطر وغيره من الظواهر المماثلة • وهناك علماء النفس الذين يدرسون الظواهر الروحية ، ومن هؤلاء هولوس ، وسرماديو وروهايم ، وفدور ممن أضافوا اسهامات متعـددة لفهم التخاطر فهما جديدا ••

ولقد أثبت شارلز • ١ • موسى العالم فى الرياضيات والفلسـفة والحاصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا ويرأس تحرير « مجلـة دراسات فى الوعى » بالولايات المتحدة ، أثبتت الظاهرة المسماة بالتلباثية التى تعنى نقل الرغبات أو الصور أو الخواطر دون استخدام الحواس الخمس وأنها أصبحت حقيقة ثابتة ببراهن قوية لدى كثير من العلماء •

ويقول : « لايزال البرهان ثابتا ومتوافرا بكثرة ساحقة على أن وراء الأبعاد المعروفة للزمان والمكان عالما آخر له ظواهره وطاقاته الخاصة به •

ثم يتحدث عن التجارب التى تقع للانسان خارج حدود الجسـم فيقول (ان الخبرات التى تقع خارج حدود الجسم — وبدون تعـاطى أى عقار من عقاقير الهلوسة — قد سجلت فى تقارير مستفيضة •• والدليل الذى لا نزاع فيه على وجود هذه التجارب هو صدور حركات سيكلوجية أمام شهود عيان وفى أثناء تواجد الشخص فى حالة خارج حدود الجسم ، وهذه الحركات تحدث على مسافات بعيدة من الجسم الذى يحدثها وتكون مصحوبة فى الوقت نفسه بوصف دقيق للموقع الذى انتقل اليه الشخص بغير جسم والذى لم يكن معروفا له من قبل) •

ثم يتحدث عن خاصية الاستشفاف التى تتمتع بها بعض الحيوانات (عندما تتلمس طريقها عائدة الى بيوت أصحابها من أماكن غير مألوفـة تبعد عنها بمئات الكيلو مترات) •

ثم يقرر قائلا « هناك أيضا شواهد متزايدة على أن وعينا الذى تمتد علاقته بالجسم الى الجزيئات فى أجسامنا يمكن أن يؤثر فى الجزئيات

الموجودة خارج حدود أجسامنا بمعنى أنه يمكننا أن نحرك الأشـــياء دون أن نلمسها ، وبدون أن نستخدم أدوات كهربائية أو مغناطيسية أو أية أدوات أخرى فى هذه العملية أى أننا قادرون على الحركة السيكلوجية أو تحريك الأشياء من بعيد) •

ويقول الدكتور — هيروشى موتاياما الذى يعمل مديرا لمعهد علم النفس الدينى فى طوكيو « ان قدرة بعض الأشخاص — أو بتعبير أدق — بعض الأجهزة العصبية لبعض الأفراد على اشعاع مايطلق عليه حديثا قدرة كشفية خاصة قد أصبحت فى متناول الاختبار والقياس بواســطة بعض التحضيرات الكهربية الخاصة » •

ويقول أن الشخص الذى يتمتع بالقدرة الكشفية « يستطيع أن يتحكم بارادته فى أعضائه الداخلية وفى وظائف جهازه العصبى الذاتى »•

ويقول الدكتور ستانلى كرينبر فى بحثه الذى ألقاه فى المؤتمر الدولى العشرين الذى عقد فى طوكيو عام ١٩٧٢ :

« ان التجارب أثبتت أنه يمكن احداث انتقال الشعور بين الأفراد عن بعد « التلباثى » فى الأحلام فى المعمل العلمى » وأن الذكور افضل من الاناث فى اســتقبال هذا الشعور •

وأن المسافة فى هذا الانتقال لاتمثل عائقا ما • وأن الأهداف التى تنقل عندما تحتوى على محتوى عاطفى أو دينى تكون أكثر فعاليــة من الأهداف الخالية من ذلك ••

وتقول الدكتورة ايفون دويليس التى شرعت فى اجراء بحوثها منذ عام ١٩٦٦ على الأشخاص الذين حرموا نعمة الابصار : « انه فى بعض الحالات الاستثنائية يستطيع أشخاص معينون أن يروا ألوانا موضوعية دون الاستعانة بعيونهم » وتؤكد أن هذه الظواهر موجودة وأن طابعها

الكامن أمر لا سبيل الى انكاره وأنها تؤلف جزءا من الوعى طمسته حياتنا المتحضرة المزعومة ، وأن لها مجالا واسعا من التطبيق الممكن[٣٦] •

وأخيرا فما رأى المنكرين للكرامات — بالرغم من الحدود التى حصرها الاما مالشعرانى — فى هذه البحوث والآراء التى تعبر عن أحدث ماوصل اليه العلم « المادى » الحديث ؟؟

اننا ان أحسنا الظن بهؤلاء المنكرين جاز أن نرى فى سذاجتهم وتخلفهم الفكرى شبها بتخلف أعضاء اللجنة العلمية البريطانية التى قدمت تقريرها الى البرلمان البريطانى فى عام ١٨٧٨م عن اختراع المصباح الكهربائى ، قالت فيه ان الاختراع الجديد « غير جدير بالتفات رجال العلم أو رجال الأعمال • ومن المستحيل ادخال النور الكهربائى فى البيوت وأية محاولة للاقدام على هذه الفعلة هى محاولة غير مجدية تماما لأنها تتحدى قوانين الكون • على هذا يشهد ويجمع أكبر وأبرز العلماء » •

* * *

كرامة الشعور بحضرة الله :

يبين الشيخ الشعرانى المفهوم الصوفى الصحيح لهذه المسألة فيقول « المراد بحضرة الله تعالى حيث أطلقت بين القوم هى شعور العبد أنه بين يدى ربه عز وجل ويصير تعالى يراه •• فمادام يتشعر ذلك فهو فى حضرة الله فاذا حجب عن المشهد خرج من الحضرة ، سواء كان فى الصلاة أم خارجها » جا ص١٨٠ •

ويقول : « فعلم أن دخول هذه الحضرة انما هو بالقلوب والأجسام تبع لها » ص١٨١ •

---

(٣٦) انظر كتابنا (فى مواجهة الالحاد المعاصر .. عقائد العلم) نشر مجمع البحوث الاسلامية •

ويقول : « ومن أخلاقهم شدة الحط والزجر والتوبيخ والهجر لمن يقول : ما ثم الا الله • فان اطلاق هذا اللفظ يبنى عليه هدم الشريعة كلها وقد كان الشيخ أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه يقول : لو كنت سلطانا لضربت عنق كل من يقول : ماثم الا الله ، أو ما ثم فاعل الا الله » جـ١ ص٤٦٣ •

كرامة رؤية الرسول يقظة :

حصول هذه الرؤية ومعناها :

يقول الشيخ الشعرانى : « وممن أدركته أنا من الأشياخ الذين أشتهر عنهم رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة سيدى محمد المغربى شيخ الجلال السيوطى ولكنه يقول :

« المراد باليقظة انكشاف الحجاب عن القلب يطى المسافة بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يصير جليسه وهو فى قبره الشريف » •

ـ لاحظ أن ذلك انما هو بكشف الحجاب عن القلب لا بالحضور الجسمانى ثم يقول أيضا « •• لا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتى الى ذلك الولى ، لأن ذاته الشريفة منزهة عن كلفة المجىء والرواح فى البرزخ » ثم يقول عن الحضور المعنوى لرسول الله « فلا يوجد نور شريعته فى مكان الا وهو صلى الله عليه وسلم حاضر فيه ، هكذا يدركه أهل الكشف » جـ١ ص١٢٠ •

ويضع الشيخ الشعرانى شروط هذه الرؤية وحدودها فيقول : « وقد قلت مرة لسيدى على الخواص رحمه الله : ما شروط الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة •• ؟ فقال بين العبد وبين هذا المقام مائتا ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون ألف مقام ، فلابد لمن حق له مقام الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجاور

المقامات كلها ، فهو أمر عزيز فى وجوده ، فى هذا الزمان لنتهى » ..
جـ ١ ص ١٢٣ .

واذا كان الشيخ الشعرانى يضع هنا شرطا به يعز نوال هـذه الرؤية مما يعتبر توجيها نقديا لمدعى الصوفية فى عصره أو من بعـد عصره فهو بعد ذلك يضع المقياس الحاسم الذى يجعل من التخـوف من قبول هذه الرؤية فى الجو الاسلامى نوعا من السطحية ، أو محض انكار لفضـل الله ، أنظر قوله :

فان قيل : فهل للعلوم والاداب التى يأخذها الولى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماقررناه مرتبة الأحاديث الواصلة الينا على يد الرواة من المحدثين ؟ .

الجواب : ليس لها مرتبة الشريعة الظاهرة لعدم عصمة الولى فى كشفه ، لكن للولى العمل بها فى نفسه بعد عرضها على قواعد الشريعة ، وليس له أن يأمر الناس بالعمل بها » . جا ص١١٦ .

هكذا يقرر الشيخ الشعرانى أن مايتلقاه الولى عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الرؤية ليس تشريعا للناس ، كما أنه ليـس تشريعا للولى فى خاصة نفســه الا بعد ظهور موافقته لما جاء فى الشريعة الظاهرة ..

ثم يبين الشيخ الشعرانى جدوى مثل هــذا التلقى فيقــول : (.. فيه زيادة اليقين بصحة ماقال بعض العلماء أنه ضعيف من الأحاديث مثلا أو النقــول ..) .

ثم يضع مثل هذه الرؤية فى مكانها الصحيح اذ يقــول :

(فهو فوق مايراه النائم ودون شريعته الظاهرة) .

ثم يزيد الضوابط التى وضعها أحكاما فيقول :

(وقد أجمع القوم كلهم على أن الشريعة التى بين أيدينا أصح مما يأخذه الولى من طريق الالهام عن الله تعالى بلا واسطة ، فان ابليس قد يلبس على الولى ..) جا ص١١٦ .

فأى محظور بعد ذلك فى تقبل هذه الرؤية فى اطار هذه الضوابط الا أن يكون لجاجا فى غير طائل ، أو محض انكار لفضل الله ، على عباده .

أما أن يكون انكارها لكونها أمرا خارقا للعادة فذلك ما أوضحنا الرأى فيه فى مسألة الكرامة وأصل وقوعها .

* * *

تلك مجموعة الأصول الاعتقادية الملتزمة بالسنة ، وهى كما ترى لاتخرج شيرا واحدا عن عقيدة أهل السنة فى مواقعهم المتعددة سواء عند أهل الحديث منهم أو الأشاعرة ، أو الماتريدية ...

بل اننا نجد أئمة علم الكلام يستشهدون لأقوالهم بأعلام الصوفية، كما فعل الامام الباقلانى وهو يستشهد فى كتابه الانصاف على ما يقوله فى توحيد الله عز وجل ومباينته للحوادث بأقوال للجنيد ، وأبى محمد الحريرى ، وأبى الحسن البوشنجى وأبى عثمان المغربى والشبلى وغيرهم[٣٧] .

وفى هذا يقول الدكتور أبو العلا عفيفى (... والجنيد وكثيرون غيره من رجال التصوف الذين تكلموا عن توحيد الاعتقاد لم يزيدوا كثيرا على ماذكره المتكلمون فى هذا الموضوع)[٣٨] .

---

(٣٧) الانصاف ص٣٢ .

(٣٨) التصوف ، ثورة روحية — ص١٧٠ .

أصول الأخلاق

« أصـــول الأخلاق »

لم نجد فى تقديم الأخلاق الصوفية خيرا من موسوعة ألفها واحد من كبارهم لهذا الغـرض .

ذلك هو كتاب « الأخلاق المتبولية » للامام أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعرانى .

والكتاب يقع فى ثلاثة مجلدات تبلغ صفحاتها أربعمائة وألفا (١) والأخلاق المتبولية تلقـاها الشـيخ الشعرانى عن نحو سبعين شيخا من أصحاب الشيخ ابراهيم المتبولى من كبار الصوفية ، مثل الشيخ على الخواص ، والشيخ عبد القادر الدشطوطى والشيخ محمد المنير والشيخ زكريا الانصـارى والشيخ برهان الدين القلقشندى ، وغيرهم ممن يقول عنهم المؤلف (قرأت عليهم كتب الشريعة من فقه وتفسـير وحديث وتصوف وغير ذلك ، حتي درجوا كلهم الى رحمة الله ، وهم عنى رضوان ، وذلك من أكبر نعم الله تعالي علي ، ولما درجوا أظلمت مصر وقراها فان بعضهم كان كالشمس وبعضهم كان كالقمر وبعضهم كان كالنجوم يهتدي بهم فى ظلمات الجهل ليلا ونهارا » ج١ ص٨٧ .

وينظر المؤلف الى كتابه نظرة ينبغى أن توضع كأسوة لكتابنـا ومؤلفينا عندما تحدثهم أنفسهم بالرغبة فى التأليف .

يقول الشعراني (قال العلماء بالله تعالى :

كل من لم يفتح الله تعالى على قلبه بالعلوم الغريبة الجـديدة فليس له أن يؤلف كتابا ، لأن غاية ملاك هذا أنه جمع بين كلام الناس وجعله مؤلفـا .

---

(١) قام بتحقيقه ونشره الدكتور منيع عبد الحليم محمود وطبـع بمطبعة حسان عام ١٩٧٥ م .

وقد كان الشيخ أبو مدين رضى الله عنه يقول لأصحابه اذا حكوا له كلاما عن أحد من السلف لاتطعمونا القديد وأطعمونا اللحم الطرى » •• ومادرج السلف الصالح الا على تأليف مالم يسبقهم أحد اليه •

وكانوا يقولون : من أراد جمع كلام الناس فليدل المريدين على الأصول التى أخذ عنها مؤلفه ، ويستريح من التعب فى الكتابة وتضييع الزمان وتسويد الورق •

وعلى هذا الأساس من اعتبار التأليف مهمة جليلة يجب أن تقوم على احترام الاخرين ، وتقديم الجديد النافع لهم ، أقدم الامام الشعرانى على تأليف كتابه •

والشعرانى اذ يشعرك بطرافة الكتاب وجدته يقول :

(•• ولا يضرك غرابتها — أى الأخلاق المتبولية — من حيث غرابة طريقها ، فانها أخلاق محررة على الكتاب والسنة وأخلاق السلف الصالح كتحرير الذهب والجوهر •• لا يقدح فى معانيها الا جاهل أو معاند أو مائل عن طريق الحق لأجل غرضه الفاسد ، وان كان كلام البشر من الأمة لايخلو عادة عن خطأ وسهو ، ولكن الحكم للاغلب فافهم) جا ص٨١ •

وفى اعتقادى أن الكتاب لايتصف بالجدة والطرافة فحسب ، ولكنه من شأنه أن يحدث — بعد هذا النشر — آثارا عميقة ويحتل مكانا بارزا فى علمى الأخلاق والتصوف فى الاسلام ••

١ — النظرة الواقعية فى الأخلاق :

أما فى علم الأخلاق فان الكتاب يقدم منهجا فريدا غير معهود فى علم الأخلاق الاسلامى الذى لايزال يستمد نظرياته من

الفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات •• مع محاولة التوفيق بينها وبين الشريعة الاسلامية فيما يتعلق بالأخلاق • ان الأخلاق المتبولية تقدم منهجا واقعيا عمليا فى علم الأخلاق يتفق مع أحدث المناهج ••

يقـول المؤلف عن كتابه :

(انى ألفته بحسب الوقائع والحوادث) جـ١ ص٩٥ •

ويقول : « •• وكل مؤلف لايذكر فى مؤلفه الا مايحتاج اليه أهل عصره اذ الأخلاق تحدث فى كل عصر بحسب حدوث الوقائع من أهله) • جـ١ ص٩٥ •

ويقول (ان نفع الانسـان كله — انما يكون من أهل عصره) جـ ٣ ص٣٠٠ •

ويول « ومن أخلاقهم : معرفة زمانهم ولا يطلبون أن يبرز فيه الا من يشاكله جـ٣ ص٧٨ •

والكتاب بهذا المنهج يتفق مع أحدث المناهج العلمية فىدراسة الأخلاق وان كان لايقع فيما تقع فيه من فقدان المصدر الثابت ، والغاية العليـا •

فهذه المناهج العلمية المستحدثة كما هو معروف ترفض القيم النهائية التى تعتصـم بها الأخـلاق التقليدية والتى لابد من أن تعتصم بها ، سواء من ناحية المبدأ ، أو من ناحية الغاية ، وهى تنكر من ثم الأخلاق الدينية ، أو الأخلاق الميتافيزيقية ، الا أن تكون جـزءا من الواقـع الاجتماعى الذى لايثبت على حال •

أما الأخلاق المتبولية فهى أخلاق اسلامية مستمدة من الكتـاب والسنة ، وتسـتهدف التخلق بأخلاق القرآن •

ومع ذلك فهى مع ارتباطها بالقيم الاسلامية الخالدة ، ترتبط من حيث التوجيه والتربية والصياغة بالواقع •

ومن هنا فان المنهج الأخلاقى الصوفى كما يقدمه الشيخ الشعرانى منهج دينى علمى معا ، أو منهج جامع بين الثبات والتطور ، ويجد فيه أصحاب المنهج العلمى الحديث ريادة توفر لهم النظرة العلمية ، وتحميهم من ضلال الالحاد فى الوقت نفسه •

وهذه فضيلة من فضائل الكتاب ويدله على علم الأخلاق الاسلامية من شأنها أن تسهم فى تطوره الذاتى اسهاما كبيرا •

ومن الأمثلة التطبيقية على هذا الاتجاه مايسوقه المؤلف من تفصيلات فى قواعد السلوك وآدابه ، تدخله فى باب التوجيه العلمى المرتبط بالواقع

يقول الشيخ الشعرانى :

(ومن أخلاقهم اذا دخل أحدهم محفلا فيه أحد من رؤوس العلماء والصوفية كالاجتماع فى وليمة أو انتظار جنازة أن لايدخل أحدهم ذلك المحفل الا اذا علم أن أهل المحفل لايرفعون رتبته فى التعظيم والاجلال فوق من كان حاضرا هناك من العلماء الصالحين ، فمتى علموا ذلك أو غلب على ظنهم فمن الأدب عدم الدخول لما قد يترتب على ذلك مفسدة أعظم من مفسدة عدم الدخول •

ولايجوز للممتنع من الدخول بشرطه أن يظن بذلك العالم أنه قد يتأثر من ترجيح غيره عليه •• فان ذلك سوء ظن به ••) جـ٣ ص٢٧ •

ويقول : (من أخلاقهم منع عيالهم من حضور الولائم التى يجتمع فيها من لاينضبط على قواعد الشريعة من الرجال والنساء) • جـ٣ ص١٢٨

ويقول : (ومن أخلاقهم اذا كانوا فى وليمة وفقد أحدهم نعله أن يخرج ساكنا ولايعلم صاحب الوليمة بذلك) جـ٣ ص٨٢ •

ومن شواهد ذلك أيضـــا ابرازه لقاعدة التدرج فى التربية الأخلاقية، يقـــول (من أخلاق سيدى ابراهيم المتبولى وأخلاق أصحابه رضى الله عنهم جميعا أن يربوا أصحابهم بالتدرج رحمة بهم ••) • جا ص٢٠٦

وهو لايرسل هذه القاعدة على اجمالها وانما يبين التدرج المطلوب تفصـــيلا من ص٢٠٦ الى ص٢١٩ •

٣ ــ أما عن ارتباطه بمصدرثابت وغاية عليا للاخلاق ، فانه يوضح ذلك بقـــوله :

واعلم يا أخى أن مرادنا بالأخلاق المحمدية حيث أطلقنا فى هـــذا الكتاب وغيره مايعم الصريح والمستنبط من نص أو قياس ••

اعلم أن القوم كلهم قد أجمعوا على أن من خرج عن الســــــنة المحمدية قيد شبر فى ملبسة أو مأكله أو منامه أو قوله أو فعله فليس هو من القوم ولو تزيا بزيهم وهم براء منهم فى الدنيا والاخرة) جا ص١٠٤

٤ ــ التخلق بأخلاق الله :

ويوضح الامام الشعرانى أن الغاية العليا من الأخلاق تجتمع عند التخلق بأخلاق الله ، موضحا المراد بذلك :

فيقول : (فى الحديث : تخلقوا بأخلاق الله أى بنظيره فى الاســـم فقط دون الكنه والحقيقة فان ذلك لايصح لأحد من الخلق ولو ارتفعت رتبته) • جا ص٩١ •

ثم يذكر رأى السهروردى رضى الله عنه فى قول السيدة عائشـــة رضى الله عنها عن رسول اله صلى الله عليه وسلم أنه (كان خلقـــه القران) • حيث يفسر قولها ذلك على أنها (احتشمت مع الحضرة الالهية أن تقول كان متخلقا بأخلاق الله عز وجل وعبرت بالمعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال ••) الخ

كما يذكر قول سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله (.. يتحقق العارف بالتخلق بأخلاق الله) .

ويذكر قول الشـيخ أبى القاسـم الكركانى : (أن الأسـماء التسعة والتسـعين تصير أوصافا للعارف) .

وقول الشـيخ الكبير أحمد بن الرفاعى : (اذا بلغ العبد الكمـال صار صـفة من صفات الحق جل وعلا) .

ثم يعقب على ذلك كله ببيان مراد القوم من التخلق بأخلاق الله أو صفاته وبما يوضح انضواءه تحت مفاهيم الاسلام الحقة إذ يقول ، (ان العارف يأخذ من كل اسم الهى وصفا يناسب ضعف بشريته وقصورها مثل أن تأخذ من اسم الله تعالى الرحيم معنى الرحمة على قدر قصور البشر . وكل اشارات المشايخ فى الأسـماء والصـفات ــ التى هى أعز علومهم ــ على هذا المعنى والتفسير ، وكل من توهم بذلك شيئا من الحلول تزندق وألحد فتأمل فانه نفيس) .

وهذا من ضمن المواضع التى تجعل الكتاب اسهاما حقيقيا فى بيان التزام الصوفية بالكتاب والسنة ، ورد كل من ينحرف عن ذلك .

٥ ــ وهو بعد أن يوضح الغاية العليا من الأخلاق يقدم النموذج الفعلى الواقعى لها فى اخلاق الرسول ويقدم المؤلف موجزا جميلا دقيقا لأخلاق الرسول فى حوالى عشرين صفحة من أمتع مايتاح لقارىء الأخلاق الاسـلامية .

ثم يقدم المؤلف بعد ذلك الأخلاق المتبولية فى مجموعة ضخمة من القواعد السلوكية العملية التفصيلية تبلغ مايقرب من ألف قاعدة ، وهى تحسب فى باب الأخلاق الاسـلامية بعامة ، ولا يكاد يقتصر منهـا على الصوفية الا القليـل .

٦ ـ كرامة العمـل :

ومن القواعد البارزة فى هذه الأخلاق قاعدة تكريم الصوفية للعمل :

يقول : (ومن أخلاقهم اكرام أهل الحرف النـافعة كالقنواتى ، والفران ، والمداوى ، والجزار والطباخ ، ونحوهم فانهم من أهل الفضل علينا ••• وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى : يقوم للقنواتى ، والزبال ، ويقول أن هؤلاء لهم الفضل علينا •• والقيام لأهل الفضـل محمود) جـ٢ ص٣١٤ •

يقول : (ومن أخلاقهم عدم الأكل من طعام من يأكل بدينه من الفقراء الذين لا كسب لهم وانما يكرمهم الناس لأجل صلاحهم ودينهم ، فان ذلك الطعام لايخلو من الشبهات قطعا ••) جـ١ ص٤٨٠ •

(ومن أخلاقهم عدم أكلهم من طعام النذور أو الاعراس الواسعة، أو طعام العزاء ••• ونحو ذلك ••) جـ١ ص٤٨١ •

ويقول : (ومن أخلاقهم شهودهم أن القائمين فى الكسب بالبيـع والشراء ، وعمل الحرفة أفضل ممن لا حرفة له منهم ، ولو كانت أعمالهم كالجبال لأن من لا حرفة له من الفقراء ربما أكل بدينه ويرجع ثـواب تلك الاعمال التى تقوى عليها بطعامهم فى صحايفهم فيخرج من الدنيـا صفر اليدين من الأعمال الصالحة ، وكان سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله يقول : قد أكرم الله المحترفة بأمور فضلوا بها على المتعبدين من غير حرفة) • جـ١ ص٣٨١ •

وانظر مايقرره الامام الشعرانى عن شـيخه يقول : (وكان يبيع الحمص المسلوق بالقرب من جامع الأمير شرف الدين خارج الحسينية ويأكل من كسبه ولا يقبل من أحد شيئا ولو كان أعز أصحابه) جـ١ ص١١١

٧ ـ الاقبال على الحياة مع الزهد فيها :

ومن القواعد السلوكية الأخلاقية التى يقررها المؤلف فى أخلاق الصوفية قاعدة الاقبال على الحياة مع الزهد فيها •

ان المؤلف يتحدث عن منهج الصوفية فى ترك بعض المباحات من أجل الترقى فى المقامات •• ولكنه فى نفس الوقت يشير على المريد بأن يتناول (••• بعض الشهوات أى المباحة ـ للمداواة لنفسه اذا نفرت من العبادات بالكلية فان لسان حال النفس تقول لصاحبها : كن معى فى بعض أغراضى والا صرعتك) وفى الحديث مرفوعا :

« ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » جـ١ ص١٧٠ • ولكن عليه أن يحول هذه المباحات التى يتناولها الى طاعات بأن (ينوى بجميع المباحات خيرا ليثاب على ذلك) ص١٧٠ •

ويضرب الأمثلة لذلك : فينوى بالنوم فى القيلولة التقوى على قيام الليل• وينوى بلباس الثياب الفاخرة اظهار نعمة الله عليه •• وكذلك يأكل اللذيذ من الطعام الحلو ومن الشراب البارد لأجل استجابة أعضائه ليشكر الله تعالى بعزم ا هـ • ص١٧٠ •

ويحكى عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى قوله لأصحابه : (ان أحدكم اذا أكل خبز الشعير بالملح ، ولبس العباءة ونام على الأرض وشرب المالح الساخن وقال : الحمد لله فانه يقول ذلك ، وعنده اشمئزاز وبعض السخط على مقدور الله عز وجل •

ولو أنه نظر بعين البصيرة لوجد الاشمئزاز والسخط الذى عنده يرجح فى الاثم على من تمتع بالدنيا بيقين ، فان المتمتع بالدنيا فعل ما أباحه الله ، ومن كان عنده اشمئزاز وسخط فقد فعل ما حرم الله) جـ ١ ص ١٧١ •

وهم يدعون مع ذلك الى الزهد ، لكنهم ينظرون اليه نظرة اسلامية أصيلة ، يقول الشيخ الشعرانى : (ومن أخلاقهم كثرة زهدهم فى المطاعم والملابس والمناكح والمراكب والمساكن ونحو ذلك مع ملابستهم لها ، فيأكلون ويلبسون وينكحون ، ويركبون الخيل المسومة ويسكنون القاعات المرخمة وهم مع ذلك زاهدون فيما خولهم الله فيه من النعم ، فليس الزهد بخلو اليد كما يفهمه بعضهم • وانما الزهد بالقلب فافهم) • جـ ١ ص ٣٥٧ •

فهذه النظرة المتوازنة بين « الحضور » فى هذه الدنيا ، وبين (الزهد فيها) هو الذى يحقق نظرة الاسلام الى التعامل مع أمور الدنيا ، حيث تكون ملكا للمسلم قادرا عليها ولا يكون هو ملكا لها واقعا فى حبائلها •

فأين ذلك مما يراد للصوفية من اتهام بأنها تعمل على الكسل ••• والخضوع للظلم الاجتماعى ؟ لعمرى تلك شنشنة يبرأ منها الاسلام وتبرأ منها الصوفية على حد سواء ، وهى تأتى ممن يعملون على ازاحة القيم الدينية الصحيحة من التأثير فى حياتنا الاجتماعية •

٨ — حسن الظن :

ومن أبرز القواعد الأخلاقية الصوفية الدعوة الى حسن الظن بالناس بعامة والدفاع عن الأنبياء والأولياء والعلماء بخاصة •

ان ما كتبه الامام الشعرانى فى تقرير عصمة الأنبياء ودحض مانسب الى بعضهم زورا ••• والدفاع عن الأولياء والاعتذار عن العلماء المعروفين بالتقوى والصلاح لهو من أجمل ماكتب فى هذا المقام• أنظر فى هذا الكتاب الجزء الأول من ص٢٧٧ الى ٣٣٧ •

وهو يقول (وذكر الامام النووى فى مقدمات شرح التهذيب : أنه ينبغى للانسان أن يحمل أفعال شيخه التى ظاهرها الفساد على نحو من

سبعين محملا حسنا ••• ولايعجز عن هذه الأجوبة الا قليل التوفيق)
جـ ١ ص ٣٣٠ •

ثم يقول عن احسان الظن بالناس بعامة :

(من ثمرة تطهير العبد من المعاصى الباطنة عدم وقوعه بعد ذلك فى سوء الظن بأحد من المسلمين قياسا على نفسه هو ••) جا ص١٨١ •

ومحل حسن الظن بالناس انما هو فى الأعمال القلبية المتعلقة بالنيات (أما الأقوال التى صرح الشارع بتحريمها فلايجوز لمؤمن أن يحمـل صاحبها على محمل حسن ، كشرب الخمر ، والأكل من الحرام) جا ص١٨٢

ويقول كان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : (عليك يا أخى بحسن الظن بالمسلمين اذا استطعت فان الله تعالى لا يسألك فى الآخـرة لم حسنت ظنك بعبادي وانما يسألك عن سوء ظنك بهم) جا ص٣٣٤

٩ — نظرة الصوفية الى العصاة :

ومن القواعد الأخلاقية البارزة فى الأخلاق الصوفية قاعدة الرحمة بالعصـــاة ••••

يقــول :

(ومن أخلاقهم أن لايشتغلوا بسب من وقع فى شىء مما أخبر به الشارع — صلى الله عليه وسلم — أنه يكون بين يدى الساعة •

بل يدعون لمن وقعت على يديه ويستغفرون له •••) جـ٣ ص٣٨

وأنه ليسبق فى اقرار النظرة العلاجية للمخطئين اذ يقــول :

كان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : البلاء فى الدين أشـــد من البلاء فى الجســد فارحموا العصاة وادعوا لهم ، فان غالب الناس

لايكاد يرحم أحدا منهم كما يرحم من ابتلى ببلاء فى جسده أو تحـولت عنه نعمة ...) جا ص٢٣٣ .

ثم يوازن الشعرانى بين هذه الرحمة وبين ضرورة العقوبة حيث يقول : (وعاملهم — أى العصاة — ظاهرا معاملة القاسى زجرا لهم وأنت راحم لهم فى الباطن ، عملا بالشريعة والحقيقة) جا ص٢٣٤ .

قواعد السـلوك الاجتماعى :

وتأتى فى الأخلاق المتبولية قواعد سلوكية من أجمل القواعد التى تحتاج اليها فى توجيه حياتنا الاجتماعية العملية .

١٠ — ومن ذلك قاعدة المؤاخذة على النسيان الذى يمكن تجنبه لصدوره عن حالة نفسـية تستحق المؤاخذة .

يقول (ومما استندوا اليه فى مؤاخذة المريد بالنسيان كون المريد لا يقع فى النسيان الا لتساهله فى المقـدمات ، بدليل أن الانسان لما نتوجه همته الى تحصيل أمر يصير لايكاد يأخذه نوم ، بل ينام يحام بذلك طول ليله) جا ص١٧٥ .

ومن هذه القواعد ذات الصلة الوثيقة بالحياة الاجتماعية :

١١ — عدم مساعدة أحد من أخوانهم على تولية شىء من الوظائف التى لا خلاص لهم فيها بميزان الشرع الشريف الان ، ... غينبغى لمن يريد مساعدة أحد فى توليته المناصب التى لا خلاص فيها أن لا يبـادر الى مساعدته اذا سأله فى ذلك بل يتربص ويتروى ويشاور الأخوان فى ذلك ثم أن وثقوا كلهم بدينه وخيره وعدم أخذ الرشا ، ولم يروا فى البلد من هو أصلح اذلك هناك يساعدونه على التولية ...) جا ص٢٣٦ .

ومن أخلاقهم الاجتماعية :

١٢ ـ اذا سافروا الى بلاد الريف وخافوا أن يتعبوا الناس أن يسافروا ليلا تخفيفا على أهل البلاد) •

ويمارس الشيخ الشعرانى مهمته النقدية فيقول : (وقد تساهل بعض اخواننا فى ذلك ، فما وصل بلاد الغريب حتى صار معه نحو خمسمائة نفس •••) جـ١ ص٢٤٨ •

ومن هذه القواعد اللازمة للسلوك الاجتماعى :

١٣ ـ (عدم كثرة امتحانهم لأصحابهم •• وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : اياكم وكثرة الامتحان لأصحابكم ، فان الله تعالى لم يمتحن من عباده الا النادر خوفا أن يفضحهم بين يديه) جـ ١ ص ٣٧٤ •

١٤ ـ ومن القواعد البناءة فى مجال الأسرة مايقوله :

(ومن أخلاقهم خدمة زوجتهم وأمتهم اذا مرضت ••

فعلم أن من لم يخدم زوجته أو جاريته أو غلامه اذا مرض ، فهو لم يشم من أخلاق الصالحين رائحة ••• ولايرون بعد ذلك لهم عليه فضلا ••) جـ٢ ص٤٣٢ •

وبالجملة فانه يقدم لنا لائحة مفصلة بالأخلاق الاسلامية بصفة عامة نوجز بعضها فى مايقوله من أخلاقهم :

ـ قيامهم بحقوق والديهم (جـ١ ص٥٧٠) •

ـ عدم وقوعهم فى خديعة أو غدر (جـ١ ص٥٨٤) •

ـ كثرة تواضعهم ••• (جـ١ ص٦٢٠) •

ـ أن يحفظوا حرمة أخوانهم فى غيبتهم (جـ١ ص٦٢٣) •

ـ اهتمامهم باكرام الضيف (جـ٢ ص٦٢٨) ٠

ـ كثرة الشـــفقة على خلق الله ٠٠ (جـ٢ ص٤٨) ٠

ـ مراعاتهم الاحسان الى اليتيم (جـ٢ ص٥٨) ٠

ـ عدم اغترار أحدهم بكثرة أتباعه (جـ٢ ص٨٠) ٠

ـ حسن سياستهم لزوجاتهم وعدم الغفلة عن تعليمهم أحكام دينهن (جـ٢ ص٨٨) ٠

ـ شدة عطفهم على الحيوان (جـ٢ ص١٣٥) ٠

ـ حماية أصحابهم ممن يظلمهم (جـ٢ ص١٠٥) ٠

ـ كثرة خوفهم من أكل الحرام والشبهات (جـ٢ ص١٤٥) ٠

ـ عدم المجادلة (جـ٢ ص١٨٨) ٠

ـ كثرة المشـــاورة (جـ٢ ص١٩٠) ٠

ـ عدم هجرة أحد من المسلمين فوق ثلاث (جـ٢ ص٢٠٣) ٠

ـ سترهم لعورات المسلمين (جـ٢ ص٢٤٤) ٠

ـ كثرة تفتيشهم عن عيوبهم الكامنة (جـ٢ ص٤٦٢) ٠

ـ صبرهم على تحمل الأذى (جـ٢ ص٢٨٨) ٠

ـ عدم قبول هدية من لايتورع فى مكسبه (جـ٢ ص٣١٦) ٠

ـ الاكثار من الأعمال الصالحة (جـ٢ ص٣١٩) ٠

ـ مراعاة حق الجار (جـ٢ ص٣١٨) ٠

ـ عدم الاستماع الى الوشاة (جـ٢ ص٣٤١)

ـ تأليفهم بين المتشاجرين (جـ٢ ص٢٤٧)

ـ اخلاصهم العمل لله عز وجل (جـ٢ ص٤٢٦) ٠

ـ شدة التباعد عن الظالم (جـ٢ صير٤٢) ٠

ـ صدق التوبة (جـ٣ ص٣٨) ٠

ـ محبة القرب من العلماء العاملين (جـ٣ ص٥٣) ٠

— البعد عما يستقبح عرفا (جـ٣ ص٥٦) .

— اخلافهم الوعيد لا الوعد (جـ١٣ ص١١٤) .

— ملازمة المراقبة (جـ٣ ص١٢٠) .

— مشاركة المسلمين فى البلاء النازل عليهم فى سائر أقطار الأرض اذا بلغهم ذلك (جـ٣ ص١٤٣) .

— غلبة الحياء من الله تعالى ومن خلقه (جـ٣ ص١٦٢) .

— عدم مبادرتهم الى سوء الظن بأحد المسلمين (جـ٣ ص١٦٩) .

— اطعام الطعام وافشاء السلام وسقى الماء واغاثة الملهوف (جـ ٣ ص ١٨١) .

— عدم اصغاء أحدهم الى قول عدو أو حاسد فى عرض خصمهم (جـ ٣ ص ٢٦٨) .

— عدم تجسسهم على عيوب أخوانهم (جـ٣ ص٢٧٣) أ هـ .

وبعد : فان الأخلاق الصوفية التى يقدمها الشيخ الشعرانى فى كتابه هذا ، ليست كلاما نظريا ، ولكنها تطبيقات الشيخ فى حياته الواقعية كما ذكر ذلك عن نفسه .

وهنا قد يتساءل البعض عن مغزى حديث الشيخ عن نفسه فى حياته الواقعية على هذا النحو ؟

يقول الشيخ الشعرانى (كما أنى لم أذكر فيه شيئا من أخلاقى الا ما أذن فى افشائه بين الأخوان ليقتدوا بى فيه ، فان كل من دعا الى خير ولم يكن متخلقا به قبل الناس ربما قالوا بلسان الحال والمقال كيف تدعونا الى التخلق بشىء عجزت أنت عن التخلق به مع علمك وصلاحك وقدم هجرتك ؟ .

فيقل نفع الناس به عادة ، وان كان ذلك ليس بشرط فى الداعى وانما هو كمال فافهم .

وقد ذكرت فى التقرير مرارا أن سبب ذكرى للاخلاق التى تخلقت بها بها وعدم كتمى لها ماسمعته من جماعة من الأخوان حين أمرتهم بالزهد فى الدنيا والتورع فى المطعم والملبس والمنطق وغير ذلك ، فقالوا لى : أرنا أحدا تخلق بذلك حتى نقتدى به ... فتأثرت لذلك غاية التأثر وشرعت بعون الله تعالى فى ذكر بعض ما من الله تعالى به علينا . وقلت لهم : أنظروا فى هذه الأخلاق فكل خلق رأيتمونى متخلقا بـه فاتبعونى فيه ، ومالم أتخلق به فأنا واياكم فيه على السواء . فهـذا هو سبب ذكرى للاخلاق التى كان الأولى بنا كتمها عادة ، لولا حرصى على حصـول الخير للاخوان فاياك أن تظن بى سوءا ، أو تنازعنى فى قصـدى فتقع فى الاثم . لوقوعك فى أعراض الفـقراء بغير علم ولا غرض صحيح) . جا ص٩٠ .

وفى هذا الكفاية فى الاجابة عن السؤال .

وقد توقع الشعرانى لكتابة أعداء كثيرين يقول :

(ان كل من صدق فى طلب الطريق فلابد من أن ينجذب على الأذى له جماعات كثيرة من الأشقياء من الانس والجن لينفروه عن طريق أهل الله تعالى اه

وأما الكاذب فى طلبه فقد كفى ابليس المؤنة لاحباط عمله بالرياء والنفاق ، فلم يدخل الطريق ولا شمها ..) .

ثم يقول : (واسأل الله تعالى من فضله وكرمه أن يحفظ هـذا الكتاب من كل حاسد وعدو ، يدس فيه ماليس من كلامى مما يخـالف ظاهر للشريعة لينفر الناس عن النظر فيه ..) جا ص٩٦ .

ويقول الامام الشـــعرانى رواية عن أبى تراب النخشبى المتوف عام ٣٤٥هـ : (اذا ألف القلب الأعراض عن الله صحبته الوقيعة فى أولياء الله ٠٠) ٠

وليس هذا التكريم لأولياء الله راجعا الى امتيــاز عنصرى أو طبقى خاص بهم ، هو — طبقــا لتعليل الامام الشعرانى — (لأنه لو أقبل على حضرة الله لعرف أهلها ، ومن هو المقدم فيها وكان يحترمهم ضرورة ، فانه ماعادى أحد أولياء الله وهــو يعتقد ولايتهم أبدا) ٠ جـ١ ص١١٠ ٠

أصول التجربة الصوفية

أصــول التجربة الصوفية

هناك أربعة أصول أساسية فى التجربة الصــوفية هى : الزهد ، والحب ، والمعرفة ، والطريق وسنبين فيما يلى أصالتها فى الاســلام ، لنلتمس بذلك أصالة ظهورها بصفة أساسية فى مجرى التصوف •

الزهــد :

يقول الله سبحانه وتعالى مخاطبا المؤمنين عامة :

(يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم أنفروا فى سبيل الله أثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا فى الاخرة الا قليل) •

هذا النص القرآنى الكريم ينكر على الانسان تمسكه بحياته الدنيا اذا طلب اليه بذلها فى سبيل الله ، ويوضح بشكل قاطع أن هذه الحيــاة لا قيمة لها فى ذاتها ومن ثم لايصح الرضا بها اذا قطعت عن الآخــرة ، والتضحية بها فى سبيل الله ، تضحية فى الشكل ، لكنها من حيث الجوهر « كسب » حقيقى للانسان •

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » • ويتأكد هذا المعنى بآيات كثيرة أخرى • منها قوله تعالى :

« وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب ، وان الدار الآخرة لهــى الحيوان » • (سوة العنكبوت ٦٤)

كما يتأكد بقوله صلى الله عليه وسلم :

« والله ما الدنيا فى الآخرة الا مثل مايجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع •

حديث صحيح (أنظر مصابيح السنة للبغوى)

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضه ما سقى الكافر منها شربة ماء •

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « الدنيا سجن المؤمن والقبر حصنه والجنة مأواه • والدنيا جنة الكافر والقبر سجنه والنار مأواه •• »[١] •

وعندما يتأكد هذا المعنى يسوق لنا القرآن صفة أساسية من صفات الدنيا تبين تفاهتها فى ذاتها — أى عند ماينظر اليها مقطوعة عن الآخرة — ذلك أنها تتصف بسرعة الزوال •

يقـــول تعالى :

« انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبـــات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون (سورة يونس ٢٤)

فهذه الآيات تلفتنا الى حقائق تبين أن الحياة الدنيا سريعة الزوال مهما ازينت فى الطبيعة ، ومهما قدر عليها الانسان فى التاريخ •

ومن هنا يصبح هذا العارض السريع الزوال بغير قيمة حقيقية ، ما لم يوصل بشىء له قيمة •

ويتقرر من ثـ م، أن الدنيا — اذا قطعت عن الآخرة — تبدو شيئا لا قيمة له • ولايقف الأمر هنا عند مجرد فقدان القيمة ، ولكنها — أى الدنيا تصبح كارثة ووبالا على المســكين بها ••

---

(١) بستان العارفين للامام ابى الليث السمرقندى ص٧٩ .

يقــول تعالى :

« زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنــوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ، والله يرزق من يشاء بغير حساب »
(البقرة ٢١٢)

هكذا يصبح امساك الكافر بالدنيا — وهى زائلة سببا فى خسرانه للاخرة وهى باقية •

ولاشك أن ذلك خسران بأى مقياس يحسب به حساب الكسب والخسارة بل هو الخسران التام الذى لايقتصر على الضياع الأخروى •

بل ينسحب الى الضياع الدنيوى كذلك •

أنظر الى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك :

« من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا الا ماقدر له » •
(رواه الترمذى)

ولنطبق ذلك على الانسان الذى تربطه الحضارة بمثل وأهداف قاصرة على الدنيا •

ان الدنيا هى هدف انسان هذه الحضارة ، وهى همه الذى لا هم له سواه ، يسعى لكى يحصل منها على مايستطيع من متعة ورفاهيــة •

وانسان هذه الحضارة اذا فشل فيما يريد من دنياه رسخ فى وجدانه

ان كل شىء قد ضاع من يده ، ولجأ الى سخط دائم ، وراودته فكرة الانتحار • وهو من ثم فى حالة فشــل دائم •

انه كما يقول عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فى عبارة موجزة دقيقة بالغة الروعة : « فقره بين عينيه » • انه لايحس بالغنى ، أو

الرضا ، انه واقع فى الفقر ، الفقر ماثل بين عينيه فى كل حال ، لايترك خياله لحظة ، يجده فيما جمع لأنه لم يرض به ويجده فيما لم يجمع لأنه لم يحصل عليه .

انه فى حالة فقر مستمر ، ينغص عليه حياته ، ويدفعه الى مزيد من جمع مظاهر هذه الحياة ... دون جدوى .

ثم أن طالب الدنيا — مقطوعة عن الآخرة — يفقد كيانه الذاتى من الناحيتين الاجتماعية ، والفردية ..

الأولى : انه يقع فى صراع مع الآخرين : مع أهله وقومه ، وأخواته فى الانســانية .

ذلك لأنه لايرضى بما فى يده ويمدها الى ما فى يد الاخرين وكلما وصل الى شىء لم يجد فيه مايريد ، فينطلق مسعورا الى غيره ، .. الى ما فى يد غيره ، وهنا يقع فى الصراع وهو صراع لا نهاية له — ولا ضابط يضبطه من قيم ، لأن القيمة السائدة هى الحصول على المتعة ، والآخرون أصبحوا مثله ، يريدون مايريد ، وهنا يتفرق الشمل الذى أراد له الله أن يجتمع الشمل الذى تفقد الانسانية ذاتها اذا تفرق ..

ومن الناحية الفردية يقع الانسان الطالب للدنيا المقطوعة عن الآخرة — فى صراع مع نفسه .

ذلك لأنه يحاول أن يرضى فى نفسه شهوة الدنيا ، على حســـاب ما أودعه الله فى هذه النفس من قوى أخرى تريد الآخرة ، فهو لا يرضى هذه النزعة ، ولايرضى تلك ، .. ويقع من ثم فى صراع مع نفسه ، أو تقع قوى نفســه فى صراع بعضها مع بعض ، وهنا يتفرق عليه شــمله : شمل نفســه ، ويقع فريسة للقلق والتمزق ، والانفصام ، ورفض الحياة .... وهكذا يتبين لنا أن الدنيا فى نظر الاسلام لا قيمة لها اذا أخــذت مقطوعة الصلة بالآخرة .

وهى بهذا ليست غير ذات قيمة فحسب ، بل هى كارثة ووبال على الانسان •

والسؤال الان هو :

هل تصبح للدنيا قيمة اذا وصلت بالاخرة ؟

والجواب :

ان القول بأن الدنيا لا قيمة لها على الاطلاق ، يعنى أنها وجدت عبثا وهذا مالا تجيزه النظرة الاسلامية • اذ يقول تعالى :

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين » الأنبياء (١٦)
ولاشك أن المهمة التى أوجد الله الانسان من أجلها فى هذه الحياة الدنيا توضح لنا أهمية هذه الحياة •

يقول تعالى : « واذ قال ربك للملائكة أنى جاعل فى الأرض خليفة » (البقرة ٣٠)

ويقول : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الأرض •• » • (النور ٥٥)

ونتأكد قيمة هذه الحياة الدنيا فى الاسلام عندما نتبين وظيفتها بالنسبة للحياة الأخرى •

لأنها الطريق الى الاخرة ، ولا طريق سواه ، واذا كان الطريق يستمد قيمته مما يؤدى اليه ، وكانت الآخرة هي الهدف الأسمى ، والقيمة العظمى « وان الدار الآخرة لهى الحيوان « سورة العنكبوت ٦٤» فان الدنيا تصبح ذات قيمة كبرى فى الاسلام بهذا الاعتبار •

يقول تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم) الانعام ١٦٥ •

ويقول أيضا (انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) . « الكهف »

ومن هنا تتفتح أبواب الدنيا أمام المؤمنين :

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » .

« الأعراف ٣٢ »

ويقول تعالى « يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » .

« المائدة ٨٧ ، ٨٨ »

وهى لا تنفتح أمامهم فحسب ، بل أن تعميرها يصبح مسئولية المسلم . وتتبع هذه المسئولية من واقع ربطها بالآخرة ، اذ يكون جزاؤه فى الاخرة على حسب ما قدم من عمل صالح فى هذه الدنيا .

يقول تعالى « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة — (أى فى هذه الدنيا) — ولنجزينهم أجرهم — (أى فى الآخرة) — بأحسن ماكانوا يعملون » .

(النحل ٩٧)

ويقول تعالى « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذم أرتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

(النور ٥٥)

ومن هنا لاتكون الزهادة فى الدنيا باسقاطها من الاعتبار وانما فى اعطائها قيمة عليا باعتبارها طريقا الى الآخرة .

يقول صلى الله عليه وسلم « الزهادة فى الدنيا ليست بتحـــريم الحلال ولا اضاعة المال ، ولكن الزهادة فى الدنيا ألا تكون مما فى يديك أوثق مما فى يدى الله ، وأن تكـــون فى ثواب المصيبة اذا أنت أصـــبت بها أرغب فيها لو أنها أبقيت لك » .

(أنظر مصابيح السنة للبغوى)

والسؤال الان : هل أخذ الصوفية فى الاسلام بهذه النظرة المتوازنة؟ وهنا نقول : أن كثيرا من الصوفية كانوا يدركون عمق النظرة الاسلامية لموضوع الزهد ، يكفى أن نشير هنا الى مايحكى عن الامام الشـــاذلى قوله لأصحابه :

كلو من أطيب الطعـــام .

واشربوا من ألذ الشراب .

وناموا على أوطأ الفراش .

وألبسوا ألبس الثياب .

فان أحدكم اذا فعل وقال الحمد لله يستجيب كل عضو فيه للشكر بخلاف ما اذا أكل الخبز الشعير بالملح ..

ولبس العباءة .

ونام على الأرض ..

وشرب المالح الســـــاخن .

وقال الحمد لله : فانه يقول ذلك وعنده اشمئزاز وبعض السخط على مقدور الله عز وجل [٢] .

---

(٢) انظر الأخلاق المتبولية جا ص١٧١ .

ويقول الشيخ الشعرانى : (لو كان المراد بالزهد خلو اليد من الدنيا لنهى الشارع عن التجارة وعمل الحرف ولم يكن يأمر أحدا بها ولا قائل بذلك)[٣] •

الحب الالهى :

اذا كان التصوف فى بعض تعريفاته خلقا سنيا فان المحبة ثمرة من ثمرات حسن الخلق ، وكلاهما هدف من أهداف الاسلام ، فقد سأل أبو هريرة رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (وماحسن الخلق ؟ قال : تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك) •

والمحبة منة يمن الله بها على عباده حيث قال عن تأليف قلوب المسلمين : (لو أنفقت مافى الأرض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) •

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف) ويقول (ان أقربكم منى مجلسا أحسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون) • ويقول : (المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف) •

وقال صلى الله عليه وسلم (اذا أحب أحدكم أخاه فليخبره) وقال (تهادوا تحابوا) وهو يصف العلاقة بين المؤمنين بأكثر مما تحققه علاقة الحب ، انها كعلاقة الجسد الواحد (اذا اشتكى واحد منها تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) •

والقران الكريم يقول فى صفات المؤمنين (أشداء على الكفار رحماء بينهم) واذا كان الصوفى يستشرف أنواعا أسمى من الحب فان المسلم هو كذلك اذ يتلو آيات القرآن فيجدها تقرر الحب علاقة بين العبد

---

(٣) انظر الأخلاق المتبولية جا ص٣٥٧ •

وربه ، فيخرج بها عن دائرة علاقة « الادراك العقلى » الجاف ، يقول الله سبحانه وتعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) • ويقول (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) ويقول : (والذين آمنوا أشد حبا لله) •

بل ان الله سبحانه وتعالى ليحب ان يكون طرفا فى كل علاقة حب ، فتعمق وتزكو وتطهر وتسمو ، روى أن ادريس الخولانى قال لمعاذ : انى أحبك فى الله فقال له أبشر ثم أبشر ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر ، يفزع الناس وهم لا يفزعون ، ويخاف الناس وهم لايخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فقيل من هؤلاء يارسول الله ؟ فقال : هم المتحابون فى الله تعالى) • وقال صلى الله عليه وسلم (ما تحاب اثنان فى الله الا كان أحبهما الى الله أشدهما حبا لصاحبه) •

وفى الحديث الصحيح (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، اذا خرج منه حتى يعود اليه ، ورجلان تحابا فى الله تعالى اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال : انى أخاف الله تعالى ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه) •

وقال صلى الله عليه وسلم : مازار رجل رجلاً فى الله شوقا اليه ورغبة فى لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة) •

وقال صلى الله عليه وسلم (ان رجلا زار أخاله فى الله فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد ؟ قال : أريد أن أزور أخى فلانا فقال: لحاجة لك عنده قال : لا • لقرابة بينك وبينه ؟ قال: لا • قال : فبنعمة له عندك ؟

قال : لا • قال : فبم ؟ قال لأحبه فى الله • قال : فان الله أرسلنى اليــك يخبرك بأنه يحبك لحبك اياه ، وقد أوجب لك الجنة) •

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته ، كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، وان سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه) •

والله ســبحانه وتعالى يقول (ان الله يحب التوابين ، ويحب المتطهرين) ويقول (والله يحب الصابرين) ويقول : (ان الله يحب المتوكلين) • ويقول : (ان الله يحب المقسطين) •

ويقول صلى الله عليه وسلم (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) •

وجعله الرسول جوهر الايمان ، ذلك أنه عند ما سئل عن الايمان ما هو قال :

(أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما) •

المعــرفة الالهية : ــ

المعرفة باعتبار أن مصدرها الأســاسى هو الله قضية مقررة فى الاســلام منذ اللحظة الأولى •

اذ جاء قوله تعالى فى أول مانزل من القرآن الكريم (اقرأ بأسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) فهو الذى علم ، كما أنه هو الذى خلق ، بل ان السورة تبين بعد ذلك أن استغناء الانســان عن المصدر الالهى هو مصدر انحرافه فى التعليم وفى غير التعليم (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ان الى ربك الرجعى)•

ويقول سبحانه وتعالى (الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) .
وتبين الآية التالية أيضا مصدر انحراف الانسان عن الحق ، وهو الطبيعة الانسـانية — اذا استقلت — التى تنظر الى الأمور من زواية واحدة فلا تدركها ادراك المحيط بجوانبها المتعددة ، اذ يقول تعالى (ولكل وجهة هو موليها) .

ومن هنا كانت تكملة الآية مسـحة حنان على هذا الضعف الانسانى يربطه بالمصدر الالهى (.. فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ١٤٨ — البقرة .

ويقول سبحانه وتعالى (ولايحيطون بشىء من علمه الا بما شاء) .
البقرة ٥٥ ولهذا جـاء قوله تعـالى (قالوا سـبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا) . وجاء قوله تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) البقرة ٢٨٢ .

وقوله تعالى (قل ان هدى الله هو الهدى) البقرة ١٢٠ .

وقوله تعالى (ان علينا للهدى) الليل ١٢ ، وقوله تعالى (وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) الأعراف ٤٣ .

وجاء قوله صلى الله عليه وسلم (والله لولا الله ما اهتدينا) وقوله صلى الله عليه وسلم (من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعـلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة .

ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ، ولم يوفق فيما يعمل حتى يسـتوجب النار) .

ولما كان الله هو مصدر الهداية والتعليم فان القرآن الكريم يكمـل القضية فيبين أن هذا الطريق الى اللهليس بعيدا اذ يقول (فأينما تولوا فثم وجه الله) . الزمر ٦٧ ويقول (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) البقرة ١٨٦ .

ويقول تعالى فى الحديث القدسى : (ياعبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى أهدكم ••) الخ •

ومن أجل هذا كانت المكانه الانسانية التى يحتلها الرسول هى فى توصيل المعرفة الالهية (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون)•

ومن ثم كانت أى معرفة يزعم انسان أنها خطرت له متعارضة مع المعرفة التى بلغها الرسول صلى الله عليه وسلم : معرفة ساقطة ، أو الحادا ، أو انحرافا •••

ولم يكن فهم أن الله هو المصدر الأساسى للمعرفة مقصورا على رجال الصوفية وانما هو موجود عند المتكلمين وغيرهم من أعلام الفكر الاسلامى •

فالمتكلمون مع ايجابهم النظر باعتباره أول واجبات الانسان ، يقررون أن الله هو فاعل العلم •

يصرح المعتزلة بذلك فيقول القاضى عبد الجبار (ان كل ماعنى المكلف فعله أوتركه ، قد ركب الله جمله فى العقول) ويقول (العلم الحاصل للمدرك يجب أن يكون من فعله تعالى ابتداء وان كان يفعله تعالى متى حصل المدرك مدركا) •

بل ان هذا الطريق الالهى هو ضمان صحة العلم الضرورى اذ يقرر (أنه لايبطل العلم الضرورى لأنه من فعل الله تعالى)(٤) •

وأما الأشاعرة فيقولون (ان الله تعالى هو الذى كرم بنى آدم بالعقل الغريزى والعلم الضرورى) • ويقول الايجى (ان العلم غير واقع بالنظر

---

(٤) المحيط بالتكليف ص١٤ ، ١٦ ، ٣١ ، ٣٢ •

أو بقدرتنا بل بخلق الله تعالى ، وهو مذهب أهل الحق من الأشاعرة) . ويقول الجرجانى (ولا شك أن العلم بعد النظر ممكن حادث محتاج الى المؤثر ولا مؤثر الا الله تعالى فهو فعله)(٥) .

والتفتازانى بعد أن تحدث عن الحكمة النظرية والعملية وأنها كمال القوة النظرية والعملية وأن ذلك لايتم الا بقدر القوة البشرية ومن ثم تظهر الحاجة الى المصدر الالهى الذى يمثله الرسول : يقول (انه لما كثر الخلاف وفشا الباطل والضلال فى شأن الكمال ، وفى شأن كون الأشياء كما هى والأمور على ماينبغى ، لزم الاقتداء بمن ثبت بالمعجزات الباهرة أنهم على هدى من الله تعالى ، وكانت الحكمة الحقيقية هى الشريعة ولكن لا بمعنى الاحكام العملية — أى فحسب — بل بمعنى معرفة النفس ما لها وعليها ، والعمل بها على ماذهب اليه أهل التحقيق من أن الحكمة المشار اليها فى قوله تعالى : « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيرا » هو الفقه ، وأنه اسم للعلم والعمل جميعا)(٦) .

والبياضى من الماتريدية يتحدث عن هداية الله وأنها تكون بالطرق الآتية : —

١ — افاضة القوى التى يتمكن بها المرء من الاهتداء كافاضة العاقلة والحواس الظاهرة .

٢ — الهداية بنصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل ، والصلاح والفساد .

٣ — الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب .

٤ — الهداية بكشف الله تعالى على قلوبهم السرائر كما هى عليه ، والقائها بطريق الفيض (٧) .

---

(٥) المواقف جا ص٩ ، ١٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ٢٤١ .
(٦) شرح المقاصد ج٢ ص٤٥ .
(٧) اشارات المرام ص١٠٤ ط١٩٤٩ مطبعة الحلبى .

وابن خلدون يبين الحجب التى تقوم بين الفكر ومطلوبه وأنها ثلاثة : دلالة الكتابة على الألفاظ ، دلالة الألفاظ على المعانى ، وقوانين ترتيب المعانى للاستدلال بها ، ثم يقول (وليس كل أحد يتجاوز هذه المراتب بسرعة ، بل ربما وقف الذهن فى حجب الألفاظ ••• ، أو عثر فى اشتراك الدلالة ••• ،فاذا ابتليت بمثل ذلك ••• فاترك الأمر الصناعى جملة ، واخلص الى فضاء الفكر الطبيعى الذى فطرت عليه •• مستعرضا للفتح من الله كما فتح على أكابر النظار قبلك من ذهنهم من رحمته ، وعلمهم مالم يكونوا يعلمون ، فاذا فعلت ذلك أشرقت عليك أنوار الفتح من الله •••) ثم يقول :

(فاعتبر ذاك واستمطر رحمة الله تعالى متى أعوزك فهم المسائل تشرق عليك أنواره بالالهام الى الصواب)[٨] •

ويقول ابن حزم امام الظاهرية عن العلوم الضرورية :

(انها ضرورات أوقعها الله فى النفس ، ويقول (بينا أن العقل لايحكم به على الله الذى خلق العقل ورتبه على ماهو عليه)[٩] •

ويقول الامام الشاطبى صاحب الاعتصام بعد أن بين أن العادات يمكن تخلفها عقلا كما يحدث فى المعجزة (•• لم يدع أحد من الأنبياء عليهم السلام الجمع بين النقيضين ولا تحدى أحد بكون الاثنين أكثر من الواحد مع أن الجميع من فعله تعالى) • فهو جعل البدهيات ، كعدم الجمع بين النقيضين وكون الاثنين أكثر من الواحد من فعله تعالى •

ويقول ابن أمير فى شرحه لمباحث أصول الفقه — وفى تعريفه لصفة العلم أنها توجب تمييزا لايحتمل النقيض ، يقول (توجب أى تستعقب

---

(٨) مقدمة ابن خلدون ص٥٣٥ — ص٥٣٦ •

(٩) الفصل بين الملل والنحل جا ص٧ •

بخلق الله تعالى عادة لمحلها الذى يتصف بها وهو النفس : تمييزا بين الأمـــور) •

فاذا جاء بعض من كتب فى التصـــوف من زاوية « المعـــرفة » كابن سينا وجعله نوعا من الاتصال بالملأ الأعلى فانه يكون من المبالغـــة فى عادة البحث عن أصل أجنبى لكل ماهو فى الفكر الاسلامى القول بأن ابن سينا فى هذا كان ناقلا من أرسطو •• كما زعم البعض ، أو من أفلاطون ، أو أفلوطين كما زعم كثيرون ، ذلك لأن فكرة الاتصـــال بالملأ الأعلى — بوجه عام — كانت كما يقول الدكتور عبد الحليم محمود فى دراسته لنصوص من الاشارات لابن سينا — « كانت شـــائعة ذائعة فى جميع أرجاء المملكة الاسلامية ، لقد كان يشعر بها الرجال والنساء ، وكان يعرفها الكبار والصغار ••

وفى القرآن قصة العبد الصالح الذى آتاه الله من لدنه علما ••• لقد كان ابن سينا بعيدا كل البعد عن أرسطو فيما يتعلق بنظرية عن الاتصال ، وأنه اذا كان قريبا من أفلاطون وأفلوطين فذلك لأنهما عالجا نفس الموضوع الذى تحدث عنه الاسلام)[10] •

هذا هو الجو الاسلامى العام فى تلقى المعرفة من الله •

فاذا جاء الصـــوفية فى هذا الجو ليقولوا (ان الطريق لمعـــرفة الله هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية للوصـــول الى مرتبـــة الكشـــف)[11] •

كما يعبر عنهم الامام الرازى فانهم لايكونون قد ذهبوا بعيدا عن الجو الاسلامى ليأخذوا، من مصدر أجنبى كما يدعى بعض الباحثين •

---

(١٠) التصوف عند ابن سينا دراسة لنصوص من الاشارات طبعـــة الأنجلو ص١٨ — ١٩ .

(١١) أنظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى ص٧٢ — مكتبة النهضـــة .

أصول الطريق

معــالم الطــريق

الصوفية اذن يرون أن الطريق الى العلم اليقيني هو الحدس أو الذوق أو الكشف أو العيان أو الوجدان • ولا يصــدر ذلك عن معــلم أو قياس عقلى أو خبرة حسية أنه ــ أى العلم اليقينى ــ يلقى فى القلب القاء فيذوق القلب معانيه ولا يســتطيع وصــفها أو الافصــاح عنهــــا •

ولكن ماهى الأسس التى يجب توافرها فى المريد أولا لكى يســير فى الطريق ؟ لابد له من أســاسين :

الأول : اســتعداد فطرى خاص لايغنى عنه اجتهاد أو كســب وذلك أن فى النفس البشرية اســتعدادا للانسلاخ من البشرية الــى الملكية لتصير ملكا بالفعــل فى لمحة من اللمحات ، فتتصــل بالمــلأ الأعــلى •

الثانى : الانتســاب الى ســلسلة صــحيحة من المشايخ اذ أن البركة التى تحصل بانتساب الى سلسلة صحيحة شرط أساسى • ولايصل الانسان بدونه الى أى درجة من درجات التصوف حتى البدائية منها •

ثم بعد ذلك يأخذ المريد فى ســلوك الطريق •

وللطريق أنظمة متعــددة تختلف فى تفصيلاتها عند أصحاب الطرق المختــلفة ولكن لها جميعا ملامح وخصــائص مشتركة لا تكاد تخــرج عنهــــا •

وقد عالج الامام الغزالى فى موسوعته الكبيرة أحياء علوم الديــن معالم الطريق وخطواته ونتائجه وكتابه هذا يعتبر المرجع العلمى لطريق الصوفية من أهل الســنة •

رتب الامام الغزالى موســـوعته على أربعة أرباع : قسم العبادات والعادات والمهلكات والمنجيات .

أما الربع الأول : فيذكر فيه الغزالى من آداب العبادات وخفاياها ودقائق سننها وأسرار معانيها كل مايحتاج الســـالك الى معـــرفته من من وجوه الاخلاص فيها ، واقامتها على الأسس التى يحبها الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وقســـم هذا الربع الى كتب : كتاب العلم وفيه ســبعة أبواب الباب الأول فى فضل العلم والتعليم موضحا له بشواهد من النقـــل والعقـــل .

الباب الثانى فى العلم المحمود والمذموم أقسامهما وأحكامهما وبيان ما هو فرض عين وماهو فرض كفاية .

والباب الثالث : فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها ، والوجوه التى يكون بها العلم مذموما .

الباب الرابع فى علم الخـــلاف وافات المنـــاظرة والجدل وشروط اباحتها .

والباب الخامس فى آداب المتعلم والعلم ووظائفه .

والباب السادس فى آفات العلم والتفرقة بين علماء الاخرة وعلماء الســـــوء .

والباب السابع فى العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه .

ثم ياتى الكتاب الثانى من الربع الأول :

وهو كتاب قواعد العقائد ، وهى فى الالهيات والنبوات والسمعيات وحقيقة الايمان والاسلام .

ثم ياتى الكتاب الثالث من الربع الأول (العبادات) وهو كتاب « أسرار الطهارة » .

ثم ياتى الكتاب الرابع من الربع الأول :وهو كتاب أسرار الصلاة وهو أبواب : الباب الأول فى فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان والخشوع والمسجد .

والباب الثانى فى كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة . والباب الثالث فى الشروط الباطنة من أعمال الصلاة . والباب الرابع فى الامامة والقدوة. والباب الخامس فى فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها . والباب السادس : فى مسائل تعم بها البلوى ويحتاج المريد لمعرفتها . والباب السابع فى النوافل من الصلوات .

ثم يأتى الكتاب الخامس من ربع العبادات ، وهو كتابأسرار الزكاة

ثم يأتى الكتاب السادس فى أسرار الصوم .

ثم يأتى الكتاب السابع فى أسرار الحج .

ثم ياتى الكتاب الثامن من ربع العبادات : وهو عن القرآن ، فضله وآداب تلاوته الظاهرة والباطنة ، وفهمه وتفسيره بالنقل والرأى.

ثم يأتى الكتاب التاسع فى الأذكار والدعاء : عن فضيلة الذكر وفائدته ومجاله وآداب الدعاء وفضله ، والأدعية المأثورة عن الصحابة ، والأنبياء .

ثم يأتى الكتاب العاشر فى الاوراد وفضلها وترتيبها والمواظبة عليها وأعدادها وأحوالها ، وقيام الليل والأسباب التى تيسره ، والأيام التى يفضل القيام فيها على غيره .

اما الربع الثانى : فيذكر فيه من أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع فى مجاريها ما لا يستغنى عنه سالك للطريق فضلا عن متدين بالاسلام .

وقسم هذا الربع الى كتب :

كتاب آداب الأكل : منفردا أو مجتمعا مع الغير ، أو مقدما الى الزائرين ، مع مايقتضيه ، من آداب الضيافة ، ومايتطلبه من الآداب والأوامر والنواهى الطبية والشرعية .

ثم كتاب آداب النكاح ومايتعلق به من الترغيب فيه أو الترغيب عنه ، ومايراعى فى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد ، ومايتصل بذلك من آداب المعاشرة وحقوق الزوج والزوجة كل على صاحبه .

ثم كتاب آداب الكسب والمعاش : وفيه الكلام عن فضل الكسب والحث عليه وطرق الكسب المشروعة وبيان العدل والاحسان واجتناب الظلم .

ثم كتاب الحلال والحرام : وبيان أصناف كل ودرجته ومداخله ، ومراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام ، وكيفية الخروج عن المظالم المالية ، وايرادات السلاطين ، وما يحل من مخالفات الظلمة منهم أو يحرم .

ثم كتاب اداب الالفة والأخوة والصحبة : ويتضمن الكلام فى فضيلة الألفة والأخوة وشروطها ودرجاتها وفوائدها وبيان الأخوة فى الله وتمييزها عن الأخوة فى الدنيا ، وبيان البغض فى الله ومراتبه وكيفية التعامل مع من يبغضون فى الله . وبيان الصفات المشروطة فيمن يختار صحبته ، وبيان حقوق الأخوة : ثمانية حقوق وبيان حق المسلم والجوار والأقارب والرحم والوالدين والولد وحقوق المملوك .

ثم كتاب آداب العزلة ، يتضمن آراء العلماء فيها وبيان فوائدها أو مضارها ويذكر لها فوائد ستة : التفرغ للعبادة والفكر والتخلص عن المعاصى ، والخلاص من الفتن والخصـــــومات ، والخلاص من شرور الناس ، وانقطاع الطمع منهم ، والخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى، ثم يذكر آفاتها وهى فوات التعليم والتعلم ، وفوات النفع والانتفـــاع وفوات التأديب والتأدب وفوات الاستئناس والايناس ، والبعـــد عن نيل الثواب وانالته ، والحرمان من فضيلة التواضع ، وفقد التجارب .

ثم كتاب آداب السـفر : ويتضمن الكلام عنها من أول النهوض للسفر الى آخر الرجوع كما يتضمن الكلام عن فوائد الســفر وفضله ونيته وما لابد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأوقاته .

ثم كتاب آداب السماع والوجد : ويتضمن الكلام فى اختلاف العلماء فى اباحة السماع وكشف الحق فيه ، وآثار السماع وآدابه .

ثم كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : ويتضمن الكلام فى وجوبه وأركان الأمر بالمعروف وأنها أربعة : المحتسب وآدابه وما فيه الحسبة ، والمحتسب عليه ، والاحتساب . كما يتضمن الكلام فى النهى عن المنكر : منكرات المساجد والأسواق والشوارع والحمامات ، والضيافة، ولمنكرات العامة ، ثم الكلام فى أمر الأمراء بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

ثم كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة : وفيه بيان تأديب اللــه تعالى صفيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن ، وبيان جملة من محاسن أخلاقه وآدابه : فى كلامه وضحكه ، وطعامه ولباسه ، ومعاملاته وسخائه ، وشجاعته ، وتواضعه وآيات صــدقه .

أما الربع الثالث : فهو عن المهلكات وغايته أن يشرح للمريد كيف يطهر قلبه من شهوات النفس وقهر الهوى .

وقســم هذا الربع الى كتب :

كتاب شرح عجائب القلب وفيه بيان معنــى النــفس والــروح والقلب والعقل وبيان حال القلب بالاضافة الى أقسام العلوم العقليــة والدينية والدنيوية والأخروية ، والفرق بين الالهام وهو طريق الصوفية والتعلم وهو طريق النظار ، وذكر شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف فى اكتساب المعرفة وبيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها ، ومايؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصــورها وما يعفى عنــه ، وبيان تقلب القلوب وتغيرها وثباتها ...

ثم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القــلب وفيه فضيلة حسن الخلق وحقيقته ، وقبول الأخلاق للتغيير بالرياضة وعلامات أمراض القلوب وعلامات عودها الى الصحة ، وبيان الطــريق فى رياضة الصبيان فى أول نشوهم وبيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدرج المريد فى سلوك سبيل الرياضة .

ثم كتاب كسر الشهوتين : وفيه بيان فضيلة الجوع وآفات الشبع ، وطريق الرياضة فى كسر شهوات البطن ، وبيان ما على المريد فى فعل الزواج أو تركه .

ثم كتاب آفات اللسان : يتضمن الكلام فى فضيلة الصمت ، وأربع عشرة آفة من آفات الكلام هى كلام المريد فيما لايعنيه وكلامه بالفضول من القول ، وخوضه بالباطل ، ووقوعه فى المراء والجدل ، والخصومة ، والفحش والسب والغناء ، والشعر والمزاح والسخرية ، والاستهزاء ، وافشاء السر والكذب فى القول واليمين والوعد والغيبة والنميمة والمديح والتشــدق بالقول .

ثم كتاب ذم الغضب والحقد والحسد :

وفيه بيان حقيقة الغضب والأسباب المهيجة عليه ، وعلاجه بالرياضة وفضيلة كظم الغيظ ، والقدر الذى يجوز الانتصار والتشفى ، ومعنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق وحقيقة الحسد وأسبابه وأقسامه ومراتبه وعلاجه ، والفرق بينه وبين المنافسة .

ثم كتاب ذم الدنيا : وفيه الكلام عن حقيقتها وما هيتها فى حق العبد وبيان المواعظ فى ذمها ، وبيان أشغالها التى استغرقت همم الخلق حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم ..

ثم كتاب ذم البخل : وفيه بيان الجمع بين مدح المال وذمه ، وتفضيل آفات المال وفوائده ، وذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما فى أيدى الناس وعلاج الحرص والطمع وفضيلة السخاء وحد السخاء والبخل وعلاج البخل ومجموع الوظائف التى على العبد فى ماله .

ثم كتاب ذم الجاه والرياء :

وفيه الكلام عن معنى الجاه وحقيقته وما يحمد من حب الجاه ، وما يذم وعلاج حب الجاه والمدح ، وحقيقة الرياء ودرجاته وظاهره وباطنه ومعالجة القلب فيه ، وبيان الرخصة فى قصد اظهار الطاعات وكتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات ، وما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لايصح ، وما ينبغى للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه .

ثم كتاب ذم الكبر والعجب :

وفيه بيان حقيقة الكبر وآفته وبواعثه وذمه ، وعلاجه ، والرياضة فى خلق التواضع ، وحقيقة العجب وآفته وذمه وعلاجه .

ثم كتاب ذم الغـــرور :

وفيه بيـــان حقيقة الغرور وأمثلته وأصنافه ، والمغترين من أرباب العبادة والعمل ، والمغترين من الصـــــوفية ، والمغترين من أربـــاب الأموال •

أما الربع الرابع والأخير :

فهو ربع المنجيات وغايته تحصـــيل الوسائل والصفات والقـــوى الروحية التى تؤدى بالمريد الى الوصول الى الله •

وقســم الغزالى هذا الربع الى كتب : —

كتابة التوبة : ويتضمن الكلام عن حقيقة التوبة ووجوبها ، وعمومها وشرائطها ، وماتكون عنه التوبة ، والمبادرة اليها ، وعلاج النفس فيها •

ثم كتاب الصـــبر والشـــكر :

وفيه الكلام عن حقيقة الصبر ومعناه وكونه نصف الايمان وأقسامه ومظان الحاجة اليه ، ومايستعان به عليه • وفيه كذلك الكلام فى حقيقة النعمة وأقسامها وخروجها عن الحصر ، وأسباب انصراف الخـــلق عن الشكر عليها وبيان اجتماع الصبر والشكر على شىء واحد •

ثم كتاب الخوف والرجـــاء :

ويشتمل على بيان حقيقة الرجاء وفضيلته والســـبيل الذى يحصل منه كما يشتمل على حقيقة الخوف ودرجاته والترغيب فيه والدواء الذى يستجلبه وأحوال الأنبياء والملائكة والصحابة والتابعين والصالحين فى الخوف • وبيان الجمع بين الخوف والرجاء •

ثم كتاب الفقـــر والزهـــد :

ويشتمل على بيان حقيقة الفقر وأحواله وأسمائه وفضيلته وآدابه، ثم على بيان حقيقة الزهد ودرجاته وأقسامه وفضيلته وعلامته •

ثم كتاب التوحيد والتوكل :

ويشتمل على بيان حقيقة التوحيد باعتباره أصل التوكل ، وأحواله وأدابه والأخذ معه بالأسباب .

ثم كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا :

ويشتمل على شواهد الشرع فى حب العبد لله تعالى وبيان حقيقة المحبة وأسبابها والمستحق لها والأسباب المقوية لحب الله تعالى ، وتفاوت الناس فى الحب ، واللذة بمعرفة الله تعالى ، ومعنى الشوق لله تعالى كما يشتمل على بيان محبة الله تعالى للعبد ومعناها ، ومعنى الأنس بالله تعالى ومعنى الانبساط والادلال الذى تثمره غلبة الأنس ، وبيان حقيقة الرضا وفضيلته ، وتحققه فيما يخالف الهوى .

ثم كتاب النية والاخلاص والصدق :

ثم كتاب المراقبة والمحاسبة :

ثم كتاب التفكر :

ثم كتاب الموت وما بعده .

تلك خلاصة موجزة لمباحث الكتاب يتبين فيها أنها تضع معالم الطريق أمام المريد وتشرح له مجزاه وشطآنه ، وترسم له مدارجه وآفاقه، وتقدم له وسائله وغاياته ، والكتاب بهذا الاعتبار معلم من معالم الثقافة الاسلامية الكبرى ، يمثل فى نظر كثير من الباحثين فى التصوف الاسلامى خلاصة العلم والعمل والسلوك فى الاسلام عامة والتصوف الاسلامى على وجه الخصوص .

واذا كانت هذه الموسوعة تمثل معالم الطريق فقد رأينا أن نقدم فى أثره مدارجه كما قدمها من قبله أحد الصوفية الكبار .

« مدارج الطـريق »

يعتبر كتاب « منازل السائرين » لعبد الله الأنصارى ت ٤٨١هـ السجل الأساسى الذى دون فيه الأنصارى طريقته التى كان يرى أنها لا تخرج عن كونها ازهاراً لعناصر حياة موجودة وجـودا حقيقيا فى الإسـلام •

والكتاب مؤلف من مقدمة وعشرة أقسـام ، اشتمل كل قسم منها على عشرة مقامات يتدرج كل منها الى ثلاث مراتب : المرتبة العامة ومرتبة السالك ، ومرتبة المحقق •

ويرى شراح الكتاب أن تلك الأقسام العشرة هى التى تحتـوى المنازل الأساسية التى يجب أن يعرفها ويتدرج فيها كل صوفى أثنـاء سيره فى الطريق الى ربه • وعندهم أنه ليس من الضرورى أن يمر الصوفى بجميع مقامات كل قسم لكى يرقى الى القسم الذى يليه بل الأمـر فى ذلك يتعلق باستعداد كل فرد من السالكين وهمته وتقدير شـيخه • على أن تلك الأقسام العشرة تنقسم عند الأنصارى الى مجموعتين الأولى هى مجموعة الأقسام الخمسة الأولى ، ويقوم الصوفى فيها بجهد ايجابى ، وهو هنا يسمى مريدا ، الثانية هى مجموعة الأقسام الخمسة التاليـة ويتعرض فيها الصوفى لفيض الله وهنا يسمى مرادا •

القسـم الأول : البدايات

ومقامات هذا القسـم هى الأساس الذى يقوم عليه البناء كله ، وفيها يراقب السالك نفسه ويربى عزيمته على تنفيذ أوامر الشريعـة فى الكتاب والسنة •

ومن مقامات هذا القسم : اليقظة ، بادراك خطورة الذنب ، ونفاسة الوقت ، وجلال النعم ثم التوبة ، والمحاسبة ، والانابة ، والتـذكر ••

القســم الثانى : الأبواب :

وهى مقامات لابد من المرور منها قبل الوصول : كمقام الخشوع ، والزهد ، والرجاء .

القســم الثالث : المعاملات :

وهى الخطط التى يسلكها المريد فى أعماله وتصرفاته ومن مقاماتها مقام التــوكل ..

القســم الرابع : الأخلاق :

ومن مقاماتها : الرضا ، والشكر ، والحياء ، والصدق ، والايثار ، والتواضع ، والانبساط ..

القســم الخامس : الأصول :

ويعنى تعميق الرغبة المتزايدة فى الوصول ، ومقامات هذا القسم هى المقامات التى يؤسس عليها السالك تقدمه فى الطريق ، وأهم هــذه المقامات مقام « الارادة » .

* * *

ثم ينتقل السالك من مرحلة الجهد الايجابى ، الى مرحلة التعرض للفيض الالهى ، بأقسامه التالية :

القســم السادس : الأودية :

وفيها تبطىء حركة الصعود ليلتقى الصوفى بعقبات تحول بينه وبين التقــدم وأهم مقامات هذا القسم « السكينة » .

القســم السابع : الأحوال :

وبعد مايجتاز الصوف قسم الأودية يتابع طريقه وتنقض عليه الأحوال انقضاضا اضطراريا ومن مقامات هذا القسم : الشوق والقلق والبروق •••

القســم الثامن : الولايات :

وهنا يركز الصوفى انتباهه كله على ربه الذى يسكب عليه ولايته بالتدرج ، فيصبح الصوفى أجنبيا عمن يحوطه ، ومن مقامات هذا القسم « السر » •

القســم التاسع : الحقائق :

وهنا يصل الصوفى الى حقائق الحياة الصوفية ، فيكون كله فى يد الله ومن مقاماته القبض والبسط •

القســم العاشر : النهايات :

وهو نهاية الطريق ، وأعلى مقاماته مقام التوحيد[1]

* * *

(١) انظر كتاب « التصوف المقارن » للدكتور محمد غلاب طبعة نهضة مصر ٦٥ ، ٧٣ •

لزوم الشـيخ للطريق

ويلتزم الصوفية فى سلوك الطريق بالأخذ عن شيخ (فأخذ العلم والعمل على المشايخ أتم من أخذه دونهم يقول تعالى « بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتو العلم » وقوله تعالى « واتبع سـبيل من أناب الى » فلزمت المشيخة سيما والصحابة أخذوا عنه عليه الصلاة والسلام ، وأخذ هو عن جبريل وأخذ التابعون عن الصحابة ...) .

هذا عن أخذ العلم والعمل .

وليس الأمر قاصرا على ذلك بل هناك : (الافادة بالهمة والحـال فقد أشار اليها أنس بقوله « ما نفضنا التراب عن أيدينا من دفنه عليه الصلاة والسلام حتى أنكرنا قلوبنا .

فأبان أن رؤية شخصه الكريم كانت نافعة لهم فى قلوبهم ، اذ من تحقق بحاله لم يخل حاضره منها ، فلذلك أمر بصحبة الصالحين ، ونهى عن صحبة الفاسـقين)[1] .

هذا وللصلة بالشيخ جهات يقسمها الصوفية كما يذكر ابن زروق من ثلاث جهات أما من جهة الشيخ :

فهناك شيخ التعليم ، تكفى عنه الكتب للبيب حاذق يعرف موارد العلـم .

وشيخ التربية تكفى عنه الصـحبة لذى دين عاقل ناصح .
وشيخ الترقية يكفى عنه اللقاء والتبرك .

وأخذ كل ذلك من وجه واحد أتم .

---

(٢) قواعد التصوف لابن زروق ص٣٩ .

ومن جهة الطالب :

فهناك البليد الذى لابد له من شيخ يربيه ٠

واللبيب الذى يكفى الكتاب فى ترقيه لكنه لايسلم من رعونة نفسه وان وصل ، لابتلاء العبد برؤية نفسـه ٠

ومن جهة المجاهدات :

فهناك التقوى وهى لاتحتاج للشيخ لبيانها وعمومها

وهناك الاستقامة تحتاج الى شيخ فى تمييز الأصلح منها وقد يكتفى دونه اللبيب بالكتب ، ومجاهدة الكشف ٠

وهناك الترقية لابد من شيخ يرجع اليه فى فتوحها ٠٠٠) ويستخلص من ذلك فى الجملة أنه لابد من شيخ للمريد ٠

وفى أهمية الشيخ التربوية يقول الشيخ الشعرانى فى كتابه الأخلاق المتبولية : محال أن يقدر الانسان على صعود السطح العالى بلا سلم الا أن تحصل له جذبة الهية) جـ١ ص١٢٧ ٠

ثم يقول (وهذا الذى ذكرناه من التخلص من صفات النفاق أمر لايهتدى الانسان غير شيخ الى الخروج منه ٠٠٠) جـ١ ص١٢٩ ٠

وهذا الذى ذكره الشيخ الشعرانى فى أهمية الشيخ يرجع الى الدور التربوى التطبيقى الذى لا غنى عنه فى التربية اذ يقول (٠٠ فهو كمن حفظ كتب الطب مع جهله بالداء والدواء ٠٠) يعنى الاقتصار عـلى الجانب النظرى واهمال الجانب العملى التطبيقى ٠٠ ولاشك أن الجانب الأخير لا يتلقى من الكتب ، وانما يؤخذ على يد معلم أو شيخ ٠٠

كذلك يشـير الشيخ الشعرانى الى دور الشيخ فى نقل المريـد

من مرحلة السلوك الظاهرى الى مرحلة الوصول الى حقيقة السـلوك وباطنه — وذلك مما لايتلقى من الكتب — اذ يقول : (لو أن مريدا عبد الله تعالى كما بين السـماء والأرض بغير شـيخ فعبادته كالهباء المنثور) .

لا لأنه واسطة بين العبد وربه ، وانما للدور التربوى الذى يقوم به الشيخ فى نقل مريده من ظاهر السلوك الى حقيقته ، يقول الشـيخ الشعرانى فى تعليقه (.. لأنه أى المريد الذى لا شيخ له — لا يهتـدى لمعرفة تطهيره من دسائس الأعمال الظاهرية فضلا عن الباطنة . بـل ولا يعرف الطريق الموصلة لذلك حتى يطلب معرفة كيفية التطهير لأن طريق القوم غالبها غيب غير محسوس ولا يكاد يدركها الا من كشـف الله تعالى حجابه ..) جـ١ ص١٢٩ .

ويضرب الشيخ الشعرانى المثال لذلك من الحديث النبوى الشريف اذ يقول : (كما ورد فى حديث العابد الذى عبد الله تعالى فى جزيرة خمسمائة عام وقال له الحق تعالى — ادخل الجنة برحمتى فقال بعملى) — وفى هذا الحديث الذى أخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد : ان الله تعالى حاسب هذا العبد على ما لقى من نعم فى مقابل عمله حتى بين له أنه انما يدخل الجنة برحمته تعالى . والشاهد فى ذلك ما يقوله الشيخ الشـعرانى :

(فلو أن هذا العابد كان سلك الطريق على يد عارف لعرف من أول ما دخل فى الطريق أن العبد لايدخل الجنة الا برحمة الله دون عمله ، وكان لزم الأدب مع الله تعالى) جـ١ ص١٣١ .

ويبين الشـيخ الشعرانى فى موضع آخر هذه الأهمية التربوية لدور الشيخ مع مريده ، اذا يأخذ بيده فى الترقى بين المقامات التى شم — أى الشيخ روائحها ...

أما المريد الذى لا شيخ له فانه يحال بينه وبين الترقى لأنه (واقف مع نفسه ، لايرى فوقه مقاما ، لعدم شمه وزكامه) جا ص١٣٢

ومن فوائد الشيخ عند الصوفية مايحكيه الشيخ الشعرانى عن شيخه الخواص (•• اختصار الطريق على المريد واراحته من شدة التعب من غير ترق) جا ص١٣٩ •

ويمارس الشيخ الشعرانى مهمته النقدية فى هذا الموضع اذ يقول لمدعى التصوف (ولو أن هؤلاء كان لهم شيخ لبين لأحدهم عيوبه ونقائصه وكان يخاف من الله تعالى أن يدعى كمال مقام الاسلام) جا ص١٥٢ • ولقد أوضح الشيخ الشعرانى أن الاستمساك بالشيخ لايرجع الى اعتباره واسطة ولكن يرجع الى اعتباره من باب موالاة من والى الله ومعاداة من عاداه ، وهذا مأمور به شرعا ، وفى الحديث الصحيح (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) جا ص٢٦٧ •

وهنا نقطة هامة نتضح بتفهم دور الشيخ ، يقول الشيخ الشعرانى (وكان لسان حال كلُ شيخ أن يقول لمريديه يا أولادى انما أربيكم بشرع نبيكم وما أستنبط منه ، فأقول لكم : قال نبيكم صلى الله عليه وسلم كذا ، أو قد استنبط العلماء من شرع نبيكم كذا وليس لى من ذاتى شرع أتمشيخ عليكم به) جا ص٢٢٠

كما يتحدد مقام الشيخ ، بذكر قاعدة من الأخلاق المتبولية تنكر مظاهر التقديس للاشخاص يقول الشعرانى : (من أخلاقهم كراهتهم لتقبيل أحد يدهم •• وقد كان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول : لاينبغى لفقير أن يمكن أحدا من تقبيل يده أو التمسح بثيابه الا اذا صار فى مقام الحجر الأسود •

فقيل : وما مقام الحجر الأسود ، فقال : مقام من حفظ عهود جميع من استلمه ، ويحمل خطايا بنى آدم عنهم ويفديهم بنفسه

ولو أسود بذلك وجهه بين الناس) جـ١ ص٢٢٧ • ومعنى هذا تعليق الأمر على مستحيل •

ومن هذا يتبين اسهام الشيخ الشعرانى فى ايضاح أن تمسك الصوفية — أو بعضهم — « بالشيخ » انما يرجع الى ضرورة تربوية عملية يندر أن يجدها المريد فى علومه النظرية ، وهو بذلك يرفع عن هذا المبدأ الصوفى توهم أن يكون الشيخ واسطة بين العبد وربه ويضعه فى موضعه الصحيح باعتباره مبدأ تربويا لا غنى عنه فى أى منهج للتربية فى القديم أو فى الحديث ، فى الصوفية ، أو فى غيرها من المجالات التى تتصدى للتربية المنهجية الصحيحة ، ومع ذلك فان كتاب الأخلاق المتبولية يبين أن اتخاذ شيخ للطريق ليس من ضرورات التصوف باطلاق ، كما يتوهم البعض •

يقول رواية عن شيخه على الخواص :

(وممن بلغنا من المتقدمين أنه لم يكن له شيخ — غير رسول الله صلى الله عليه وسلم — أربعة لا خامس لهم فى الشهرة • وهو الشيخ عبد الرحيم القناوى ، والشيخ أبو السعود ابن أبى العشائر (توفى سنة أربع وأربعين وستمائة) والشيخ أبو مدين والشيخ ابراهيم المتبولى رضى الله عنهم •

وأما من لم يشتهر بذلك بين العلماء فكثير •••) •

وهكذا فالشيخ ابراهيم المتبولى صاحب هذه الأخلاق المتبولية هو نفسه لم يكن له شيخ •

ثم يقول فى عبارة واضحة :

(••• وان من رزقه الله تعالى سلامة الباطن من هذه الأمراض المهلكة كالأئمة المجتهدين وأضرابهم لايحتاج الى شيخ فى الطريق

لأن هذا قد عمل بما علم على وفق السنة . وهذا هو غاية ما يطلب بالمسلوك) .

وبعد : فان الصوفية لم يهتموا بابراز معالم الطريق ومدارجه فحسب ، ولكن اهتمامهم الكبير انصرف أساسا — باعتبارهم رجال عمل وتربية وسلوك — الى متابعة السالك فى تجربته خطوة بخطوة ، ومن ثم كان لهم تراث عريض فى وضع دليل الطريق بين يديه ، وقد اخترنا دليلا من وضع امام من متأخرى صوفية السنة هو الشريف عبد الله بن علوى الحسينى الحضرمى من رجال القرن الحادى عشر وذلك هو رسالته فى آداب سلوك المريد[1] ، نذكرها هنا — بتصرف يسير — باعتبارها دليل سلوك تربوى مباشر ، يقوم اجمالا على معالم الطريق ومدارجه التى وضعها كبار الصوفية من قبله .

---

(١) آداب سلوك المريد — الطبعة الثالثة بالقاهرة لعام ١٩٧٦ بتحقيق الشيخ حسنين محمد مخلوف ، وهوامشها من وضعه أثابه الله .

« دليل السلوك للمريد »

أولا : (فى أن أول الطريق باعث قوى الهى وأنه يجب تقويته وحفظه واجابتــه) •

اعلم أن أول الطريق باعث قوى يقذف فى قلب العبد يزعجــه ويقلقه ويحثه على الاقبال على الله والدار الآخرة ••• وعلى الاعراض عن الدنيا وعما الخــلق مشغولون به من جمعهــا والتمتع بشهواتها والاغترار بزخارفها •

وهذا الباعث من جنود الله الباطنة • وهو من نفحات الهــداية وأعلام البداية • وكثيرا مايفتتح به على العبد عند التخويف والترغيــب والتشــويق ، وعند النظر الى أهل الله تعالى والنظر منهم • وقــد يقع بدون ســبب •

والتعرض للنفحات مأمور به ومرغب فيه والانتظار والارتقــاب بدون التعرض ولزوم الباب حمق وغباوة • كيف وقد قال عليه الصــلاة والسلام « ان لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضو لها »[1] •

ومن أكرمه الله بهذا الباعث الشريف فليعرف قدره وليعلم أنه من أعظم نعم الله تعالى عليه التى لايقدر قدرها ويبلغ شكرها فليبالغ فى شكر الله تعالى على ما منحه وأولاه ، وخصــه به من بين أشـــكاله وأقرانه ، من مسلم بلغ عمره ثمانين سنة وأكثر لم يجد هذا البــاعث ولم يطرقه يوما من الدهر •

---

(١) فى الجامع الصغير عن الطبرانى الكبير عن محمد بن مسلمة بلفظ (الا فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا) أى كونوا على قدم الاستعداد لها بصفاء قلوبكم وصالحات أعمالكم واتقاء أسباب حرمانكم والاعراض عنكم

وعلى المريد أن يجتهد فى تقويته وحفظه واجابتـــه (فتقويته) بالذكر لله ، والفكر فيما عند الله والمجالســة لأهل الله (وحفظـه) بالبعد عن مجالسة المحجوبين والأعراض عن وسوسة الشيطان (واجابته) بأن يبادر بالانابة الى الله تعالى ويصدق فى الاقبال على الله ، ولايتوانى ولا يسوف ولا يتباطأ ولا يؤخر وقدأمكنته الفرصة فلينتهزها ، وفتح له الباب فليدخل ، ودعاه الداعى فليسرع وليحذر من غد بعد غد[٢] فان ذلك من عمل الشيطان ، وليقبل ولا يتثبط[٣] ولايتعلل بعدم الفراغ وعدم الصــــلاحية .

قال أبو الربيع رحمه الله : ســيروا الى اله عرجا ومكاســير ولا تنظروا الصحة فان انتظار الصـحة باطل ، وقال ابن عطاء اللــه فى الحـــكم : احالتك العمل على وجود الفراغ من رعونات النفوس .

ثانيا : (فى التوبة وشروطها والاحتراز من الذنوب كلها) .

وأول شىء يبدأ به المريد فى طريق الله[٤] تصحيح التوبة الى الله تعالى من جميع الذنوب وان كان عليه شىء من المظالم لأحد من الخلق فليبادر بأدائها الى أربابها ان أمكن والا فيطلب الاحلال منهم[٥] فان الذى تكون ذمته مرتهنة بحقوق الخلق لايمكنه السير الى الخالق .

وشرط صـحة التوبة صدق الندم على الذنوب[٦] مع صـــحة

---

(٢) اى من قوله فى كل امر افعل هذا غدا . يريد التسويف . وفى الحديث فى الجامع الصغير : التسويف شعار الشيطان يلقيه فى قلوب المؤمنين.

(٣) لا يتريث بل يعجل . يقال ثبطه عن الشىء ريثه .

(٤) اى فى طريقه الى الله تعالى .

(٥) اى أن امكن والا فليكثر من الحســنات حتى تفيض عنه يــوم القيامة فيؤخذ منها لمن ظلمه وليتصدق بالمال الذى يعلم انه خبيث ولا سبيل لرده الى صـــاحبه .

(٦) اى التأسيف والتحسر على مقارفتها .

العزم وهو مصر عليه أو عازم على العودة اليه فلا توبة له .

وليكن المريد على الدوام فى غاية من الاعتراف بالتقصير عن القيام بما يجب عليه من ربه : ومتى حزن على تقصيره وأنكسر قلبه من أجله فليعلم ان الله عنده .

وعلى المريد أن يحترز من أصغر الذنوب فضلاً عن أكبرها أشد من احترازه من تناول السم القاتل ، ويكون خوفه لو ارتكب شيئا منها أعظم من خوفه لو أكل السم ، وذلك لأن المعاصى تعمل فى القلوب عمل السم فى الأجسام (بل أشد وأقوى)[8] وقلب المريد أعز عليه من جسمه بل رأس مال المريد حفظ قلبه وعمارته . والجسم غرض لآفات وعما قريب يتلف الموت ، وليس فى ذهابه الا مفارقة الدنيا النكدة النغصة ، وأما القلب ان تلف فقد تلفت الاخرة فانه لا ينجو من سخط الله ويفوز برضوانه وثوابه الا من أتى الله بقلب سليم .

ثالثا : (فى حفظ القلب من الوساوس والآفات والخواطر السيئة)

وعلى المريد أن يجتهد فى حفظ قلبه من الوساوس والآفات والخواطر الردية ، وليقم على باب قلبه حاجبا من المراقبة يمنعها من الدخول اليه فانها ان دخلته أفسدته . ويعسر بعد ذلك اخراجها منه وليبالغ فى تنقية قلبه الذى هو موضع ربه من الميل[9] الى شهوات الدنيا ، ومن الحقد والغل والغش لأحد من المسلمين . ومن الظن السوء بأحد منهم ، وليكن ناصحا لهم رحيما بهم مشفقا عليهم معتقدا الخير فيهم يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم مايكره لنفسه .

---

(٧) من تاب توبة نصوحا قبل الله توبته فقد وعد الله تعالى فضلا منه أن يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات .

(٨) زدناها بين القوسين لاقتضاء المقام اياها .

(٩) أى من العوائق والرذائل التي منها ماذكر ونحوه من أمراض القلوب

ولتعلم — أيها المريد — أن للقلب معاصى هى أفحش وأقبح وأخبث من معاصى الجوارح ولايصلح القاب لنزول معرفة الله ومحبتــه تعالى الا بعد التخلى عنها والتخلص منها ٠

فمن أفحشها الكبر والرياء والحســد (فالكبر) يدل من صاحبه على غاية الحماقة ٠ ونهاية الجهالة والغباوة ، وكيف يليق التكبر ممــن يعلم أنه مخلوق من نطفة مذرة[١٠] وعلى القرب يصــير جيفة قذرة وان كان عنده شيء من الفضائل والمحاسن فذلك من فضــل الله وصـــنعه ليس له فيه قدرة ولا فى تحصــيله حول ولا قوة ، أولا يخشى اذا تكبر على عباد الله بما آتاه الله من فضله أنيســلبه ما أعطاه لسوء أدبه ، ومنازعته لربه فى وصــفه ؟ لأن الكبر من صــفات الله الجبار المتكبر ٠

وأما (الرياء) فيدل على خلو قلب المرائى من عظمة الله واجــلاله لأنه يتصــنع ويتزين للمخلوقين ولا يقنع بعلم الله رب العالمين ومن عمل الصالحات وأحب أن يعرفه الناسبذلك ليعظموه ويصطنعوا اليه المعروف فهو مراء جاهل راغب فى الدنيا لأن الزاهد من لو أقبل الناس عليه بالتعظيم وبذل الأموال يعرضعن ذلك ويكرهه وهذا يطلب الدنيا بعمل الآخرة فمن أجهل منه ؟ واذا لم يقدر على الزهد فى الدنيا فينبغى له أن يطلب الدنيا من المالك لها وهو الله فان قلوب الخلائق بيده يقبل بها [١١] على من أقبل عيلــه ويســخرها له فيما يشاء ٠

(وأما الحسد) فهو معاداة لله ظاهرة ومنازعة له فى ملكه بينــة لأنه ســبحانه وتعالى اذا أنعم على بعض عباده بنعمة فلا شك أنه مريد لذلك ومختار له اذ لا مكره له تعالى ، فاذا أراد العبد خلاف ما أراد مولاه فقد أساء الأدب ٠ واستوجب العطب ٠

---

(١٠) قذرة الرائحــة ٠

(١١) الضمير للدنيا ٠ اى ان علم ان فى ذلك خيرا له ٠

ثم ان الحسـد قد يكون على أمور الدنيا كالجاه والمال • وهى أصغر من أن يحسـد عليها بل ينبغى لك أن ترحم من ابتلى بها وتحمد الله الذى عافاك منها • وقد يكون على أمور الآخرة كالعلم والصلاح •

وقبيح بالمريد أن يحسد من وافقه على طريقه ، وعاونه على أمره • بل ينبغى له أن يفرح به لأنه صار عونا له وجنسا يتقوى به ، والمؤمن كثير بأخيه • بل الذى ينبغى للمريد أن يحب بباطنه ويجتهد بظاهره فى جمع الناس على طريق الله والاشـتغال بطاعته ولا يبالى أفضلوه أم فضلهم فان ذلك رزق من الله هو سـبحانه وتعالى يختص برحمته من يشـاء •

وفى القلب أخلاق كثيرة مذمومة • لم نذكرها حرصا على الايجـاز ، وقد نبهنا على أمهاتها ، وأم الجميع وأصلها ومغرسها حب الدنيـا فحبها رأس كل خطيئة كما ورد[١٢] واذا سلم القلب منه فقد صلح وصـفا ، وتنور وطاب ، وتأهل لواردات الأنوار وصلح للمكاشـفة بالأسرار ،

رابعا : (فى كف الجوارح عن المعاصى وفتنة الدنيا)

وعلى المريد أن يجتهد فى كف جوارحه عن المعاصى والآثام • ولا يحرك شيئا منها الا فى طاعة • ولا يعمل بها الا شيئا يعود عليه نفعه فى الاخرة • وليبالغ (فى حفظ اللسان) فان جرمه صغير وجرمه كبير • فليكفه عن الكذب والغيبة وسائر الكلام المحظور ، وليحترز من الكلام الفاحش ، ومن الخوض فيما لايعنيه ، وان لم يكن محرما فانه يقسى القلب ، ويكون فيه ضـياع الوقت بل ينبغى للمريد أن لايحرك لسانه الا بتلاوة أو ذكر أو نصح لمسلم أو أمر بمعروف أو نهى عن منـكر أو شىء من حاجات دنياه التى يستعين بها على أخراه ، وقد قال عليه

---

(١٢) فى الجامع الصغير عن الحسن مرسلا « حب الدنيا راس كـل خطيئة » .

الصـــلاة والسلام « كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ذكر الله أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر »[١٣] .

واعلم أن (الســـمع والبصر) بابان مفتوحان الى القلب يصير اليه كل مايدخل منهما ، وكم من شيء يسمعه الانسان أو يراه مما لاينبغى يصل منه أثره الى القلب تعسر ازالته عنه فان القلب سريع التأثـــر بكل مايرد عليه . واذا تأثر بشيء يعسر محوه عنه فليكن المريد حريصا على حفظ سمعه وبصره مجتهدا فى كف جميع جوارحه عن الآثام والفضول ، وليحذر من النظر بعين الاستحسان الى زهرة الدنيا وزينتها فان ظاهرها فتنة وباطنها عبرة .

(والعين) تنظر الى ظاهر فتنتها والقلب ينظر الى باطن عبرتها وكم من مريد نظر الى شيء من زخارف الدنيا فمال بقلبه الى محبتها وسعادتها والسعى فى جمعها وعمارتها (فتاه وضل الطريق) ... فينبغى لك أيها المريد أن تغض بصرك عن جميع الكائنات ولاتنظر الى شيء منهـــا الا على قصد الاعتبار . ومعناه أن تتذكر عند النظر اليها أنها تفنى وتذهب . وأنها قد كانت من قبل معدومة . وأنه كم نظر اليها أحد من الآدميين فذهب وبقيت هى : وكم توارثها خلف عن سلف (وستذهب لا محالة) واذا نظرت الى الموجودات فانظر اليها نظر المســـتدل بها على كمـــال قدرة موجدها وبارئها سبحانه فان جميع الموجودات تنادى بلسان حالها نداء يســـمعه أهل القلوب المنورة بنور الله — أن لا اله الا الله العزيز الحكيـــم .

---

(١٣) فى الجامع الصغير عن أم حبيبة ، كلام ابن آدم كله عليه لا له الا امرا بمعروف أو نهيا عن منكر او ذكرا لله عز وجل ، وفيه عن ابن مسعود (الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا أمرا بمعروف او نهيا عن منكر او ذكرا لله) أخرجـــه البزار .

خامسا : (فى المداومة على الطهارة وايثار الجوع على الشبع)

وينبغى للمريد أن لايزال على طهارة . وكلما أحدث توضأ وصلى ركعتين ، وان كان متأهلاً وأتى أهله فليبادر بالاغتسال من الجنابة فى الوقت، ولا يمكث جنبا ، ويستعين على دوام الطهارة [١٤] بقلة الأكل . فان الذى يكثر الأكل يقع له الحدث كثيرا فتشق عليه المداومة على الطهارة ، وفى قلة الأكل أيضا معونة على السهر وهو من أكد وظائف الارادة ، والذى ينبغى للمريد أن لا يأكل الا عن فاقة[١٥] ولا ينام الا عن غابة ، ولايتكلم الا فى حاجة ، ولا يخالط أحدا من الخلق الا كانت له فى مخاطبته فائدة . ومن أكثر الأكل قسا قلبه[١٦] وثقلت جوارحه عن العبادة ، وكثرة الأكل تدعو الى كثرة النوم والكلام[١٧] ، والمريد اذا كثر نومه وكلامه صارت ارادته صورة لا حقيقة لها ، وفى الحديث « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »[١٨] .

---

(١٤) أى مكثها زمنا طويلا .

(١٥) أى اضطرار للاكل .

(١٦) روى أن من شبع ونام قسا قلبه ومن جاع عظمت فكرته وفطن قلبه . وفى الاحياء الشبع يورث البلادة ويعمى القلب .

وأشار أبو سليمان الدارانى الى ست آفات من الشبع فقال : من شبع دخل عليه ست آفات : فقد حلاوة المناجاة وتعذر حفظه الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لأنه اذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وثقل العبادة وزيادة الشهوات والحرمان من ملازمة المساجد لكثرة الخروج منها لقضاء الحاجة هـ .

(١٧) فمن شبع لم يشغله الجوع عن قلة الكلام فان الجائع لاتتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والكذب والنميمة بخلاف الشبعان فانه لايشغله عن هذا الفضول شىء ا هـ ملخصا من الاحياء.

سادسا : (فى الاقبال على الله والتفرغ لعبادته) •

وينبغى للمريدأن يكون أبعـد الناس عن المعاصى والمحظـورات وأحفظهم للفرائض والمأمورات ، وأحرصهم على القربات ، وأسرعهـم الى الخيرات فان المريد لم يتميز عن غيره من الناس الا بالاقبال عـلى الله وعلى طاعته ، والتفرغ عن كل مايشغله عن عبادته وليكن شـحيحا على أنفاســه • بخيلا بأوقاته • لايصرف منه قليلا ولا كثيرا الا فيما يقربه من ربه ، ويعود عليه بالنفع فى معاده •

وينبغى أن يكون له ورد من كل نوع من العبادات (فيكون له بذلك عدة أوراد) يواظب عليها ، ولايســمح بترك شىء منها فى عسر ولا يسر • فليكثر من تلاوة القرآن العظيم مع التدبر لمعانيه ، والترتيل لألفاظه وليكن ممتلئا بعظمة المتكلم عند تلاوة كلامه ، ولايـ قرأ كما يقرأ الغافلون الذين يقرؤن القرآن بألسنة فصـيحة وأصوات عالية وقلوب من الخشوع والتعظيم لله خالية ، يقرؤنه ،كما أنزل من فاتحته الـى خاتمته ولا يدرون معناه ، ولايعلمون لأى شىء أنزل • ولو عملوا لعلموا فان العلم نافع ، ومن علم وما عمل فليس بينه وبين الجاهل فرق الا من حيث ان حجة الله عليه آكد ، فعلى هذا يكون الجاهل أحسن منه • ولذلك قيــل : كل علم لا يعود عليك نفعه فالجهل أعود عليك منه •

وليكن لك ــ أيها المريد ــ حظ من التهجد فان الليل وقت خلـوة العبد مع مولاه فأكثر من التضرع والاستغفار ، وناج ربك بلسـان الذلة والاضطرار ••• عن قلب متحقق بنهاية العجز وغاية الانكسـار واحذر أن تدع قيام الليل فلا يأتى عليك وقت السحر الا وأنت مستيقظ ذاكر الله سـبحانه وتعالى •

سابعا : (فى وجوب اقامة الصلاة • وأن روح العبادات الحضور فيهـا مع الله) •

وكن — أيها المريد — فى غاية الاعتناء باقامة الصلوات الخـمس باتمام قيامهن وخشوعهن وركوعهن وسجودهن وسائر أركانهن وسـننهن وأشعر قلبك قبل الدخول فى الصلاة عظة من تريد الوقوف بين يديه جل وعلا — واحذر أن تناجى ملك الملوك وجبار الجبابرة بقلب لاه مسترسل فى أودية الغفلة والأفكار الدنيوية • فتستوجب المقت من الله ، والطرد عن باب الله •

وقد قال عليه الصلاة والسلام « اذا قام العبد الى الصلاة أقبل الله عليه بوجهه فاذا التفت الى ورائه يقول الله تعالى : ابن آدم التفت الى من هو خير له منى ، فان التفت الثانية قال مثل ذلك فان التفت الثالثة أعرض الله عنه »(١٩) فاذا كان الملتفت بوجهه الظاهر يعرض الله عنـه فكيف يكون حال من يلتفت بقلبه وصلاته الى حظوظ الدنيا وزخارفها ، والله سبحانه وتعالى لاينظر الى الأجسام والظواهر وانما ينظر الى القلوب والسرائر •

واعلم أن روح جميع العبادات ومعناها انما هو الحضور مع الله فيها • فمن خلت عبادته عن الحضور • فعبادته هباء •

ومثل الذى لايحضر مع الله فى عباداته مثل الذى يهدى الى ملك عظيم وصيفة ميتة ••• أو صندوقا فارغا ، فما أجدره بالعقوبة وحرمان المثوبة •

---

(١٩) فى الجامع الصغير « ان الرجل اذا دخل فى صلاته أقبل الله عليه بوجهه فلا ينصرف حتى ينقلب أو يحدث حدث سوء » رواه الترمذى عن حذيفـة •

ثامنا : (فى التحذير من ترك صلاة الجمعة والجماعات والحث على أداء الرواتب المشروعات) •

واحذر — أيها المريد — كل الحذر من ترك الجمعة والجماعات فان ذلك من عادات أهل البطالات وسمت أرباب الجهالات ، وحافظ على الرواتب المشروعات قبل الصـــلاة وبعدها ، وواظب على صلاة الوتر والضحى واحياء مابين العشائين ، وكن شـــديد الحرص على عمارة مابعد صـــلاة الصبح الى الطلوع ، ومابعد صلاة العصر الى الغروب فهذان وقتان شريفان تفيض فيهما من الله تعالى الامداد ، على المتوجهين اليـــه من العباد • وفى عمارة صلاة الصبح خاصـــــية قوية فى جاب الأرزاق الجسمانية ، وفى عمارة مابعد العصر خاصية قوية فى جلب الأرزاق القلبية، كذلك جربه أرباب البصائر من العارفين •

تاسعا : (فى الحث على ملازمة الذكر والتفكر) •

والذى عليه المعول فى طريق الله تعالى — بعد فعل الأوامر واجتناب المحارم — ملازمة الذكر لله فعليك به — أيها المريد — فى كل حال وفى كل وقت وفى كل مكان بالقلب واللسان •

والذكر الذى يجمع جميع معانى الأذكار وثمراتها الباطنة والظاهرة هو قول « لا اله الا الله » وهو الذكر الذى يؤمر بملازمته أهل البداية ويرجع اليه أهل النهاية •

ومن سره أن يذوق شيئا من أسرار الطريقة ويكاشف بشىء من أنواع الحقيقة فليعكف على الذكر لله تعالى بقلب حاضر ، وأدب وافر ، واقبال صادق وتوجيه خارق • فما اجتمعت هذه المعانى لشخص الا كوشف بالملكوت الأعلى وطالعت روحه حقائق العالم الأصفى وشاهدت عين سره الجمال الأقدس الأســمى •

ولتكن — أيها المريد — مكثرا من التفكير ، وهو على ثلاثة أقسام :

١ — تفكر فى عجائب القدرة ، وبدائع المملكة السماوية والأرضية — وثمرته المعرفه بالله .

٢ — وتفكر فى الآلاء والنعم — ونتيجته المحبة لله .

٣ — وتفكر فى الدنيا والاخرة وأحوال الخلق فيهما ، وفائدته التخلص من عبودية الدنيا ، والاستعداد للدخول فى الحياة الأخرى

عاشرا : (فيما به زجر النفس عن التكاسل عن الطاعات وعن الميل الى المخالفات) .

واذا آنست من نفسك — أيها المريد — تكاسلا عن الطاعات وتثاقلا عن الخيرات فقدها اليها بزمام « الرجاء » وهو أن تذكر لها ماوعد الله به العاملين بطاعته من الفوز العظيم والنعيم المقيم والرحمة والرضوان والخلود فى فسيح الجنان ، والعز والرفعة والشرف والمكانة عنده سبحانه وعند عباده .

واذا أحسست من نفسك ميلاً الى المخالفات أو التفاتا الى السيئات فردها عنها بسوط « الخوف » وهو أن تذكرها وتعظها بما توعد الله به من عصاه من الهوان والوبال ، والخزى والنكال والطرد والحرمان والصغار والخسران ، واياك والوقوع فيما وقع فيه بعض الشاطحين من الاستهانة بشأن الجنة والنار ، وعظم ماعظم الله ورسوله . واعمل لله لأنه ربك وأنت عبده وأسأله أن يدخلك جنته وأن يعيذك من ناره بفضله ورحمته .

وان قال لك الشيطان — لعنه الله — ان الله سبحانه وتعالى غنى عنك وعن عملك ولاتنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك فقل له صدقتني ولكن أنا فقير الى فضل الله والى العمل الصالح — والطاعة تنفعني

والمعصية تضرنى بذلك أخبرنى فى كتابه العزيز وعلى لسان رسـوله صلى الله عليه وسـلم •

فان قال لك : ان كنت سـعيدا عند الله فانك لا محالة تصير الى الجنة سواء كنت طائعا أو عاصيا • وان كنت شقيا عنده فسوف تصير الى النار ، وان كنت مطيعا — فلا تلتفت الى قوله ، وليكن جوابك بعد ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسـلم « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » •

حادى عشر : (فى أحوال النفس ولزوم الصبر)

واعلم — أيها المريد — أن أول الطريق صبر وآخرها شـكر ، وأولها عناء ، واخرها هناء ، أولها تعب ونصب وآخرها فتح وكشـف ووصول الى نهاية الارب وذلك معرفة الله والوصول اليه ، والأنس به والوقوف فى كريم حضرته مع ملائكته بين يديه ، ومن أسس جميع أموره على الصبر الجميل حصل على كل خير ووصـل الى كل مأمول وظفر بكل مطلوب •

واعلم أن النفس تكون فى أول الآمر (أمارة) تأمر بالسوء والشر وتنهى عن الخير ، فان جاهدها الانسان وصبر على مخالفة هواها صارت (لوامة) متلونة لها وجه الى المطمئنة ووجه الى الامارة فهى مرة هكذا ومرة هكذا ، فان رفق بها سار بها يقودها بأزمة الرغبة فيما عند الله صارت (مطمئنة) تأمر بالخير وتستلذه وتأنس به ، وتنهى عن الشر وتنفر عنه وتنفر منه •

وصاحب النفس المطمئنة يعظم تعجبه من الناس فى اعراضهم عن الطاعات مع مافيها من الروح والأنس واللذة وفى اقبالهم على المعـاصى والشهوات مع مافيها من الغم والوحشة والمرارة ، ويحسب أنهم يجدون ويذوقون فى الأمرين مثل مايجد ويذوق ثم يرجع الى نفسه ويذكر ماكان

يجـدمن قبل فى تناول الشهوا تـمن اللذات وفى فعل الطاعات من المرارات فيعلم أنه لم يصل الى ماهو فيه الا بمجاهدة طويلة وعناية من الله عظيمـــة •

فقد علمت أن الصبر عن المعاصى والشهوات وعلى ملازمة الطاعات هو الموصل الى كل خير والمبلغ الى كل مقام شريف وحال منيف ، وكيف لا وقد قال سبحانه وتعالى « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون »[٢٠] •

وقال تعالى (وتمت كلمة ربك الحســـــنى على بنى اسرائيل بما صـــبروا)[٢١] •

وقال تعالى : (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنـــون)[٢٢] •

ثانى عشر : (فى الاعتبار بالصابرين • وأن الرزق مقسوم) •

وقد يبتلى المريد بالفقر والفاقه وضيق المعيشـــة فينبغى له أن يشـــكر الله على ذلك •

فلقد كان سيد المرسلين وخير الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم يربط حجرا على بطنه من الجوع[٢٣] ، وقد يمر شهران أو أكثر ما توقد فى بيته نار لطعام ولا غيره انما يكون على التمر والمـــاء ونزل

---

(٢٠) آية ٢٠٠ آل عمران .

(٢١) آية ١٣٧ الأعراف .

(٢٢) آية ٢٤ الســـجده .

(٢٣) فى الجامع الصغير : ان الصالحين يشدد عليهم وانه لا يصـــيب مؤمنا نكبة من شوكة فما فوق ذلك الا حطت عنه بها خطيئة ورفع بها درجة ، رواه أحمد فى مسنده والحاكم والبيهقى وابن حبان عن عائشة رضى الله عنها .

به ضيف فأرسل الى أبياته التسع فلم يوجد فيها مايطعمه الضيف . ومات يوم مات ودرعه مرهونة عند يهودى فى أصوع من شعير وليس فى بيته مايأكله ذو كبد كف من شعير(٢٤) .

ويكفيك زاجرا عن الاستسلام لزخارف الدنيا ومزهدا فيها قوله تعالى « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا ، وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين »(٢٥) .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ولو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء » .

واعلم أن الرزق مضمون مكفول من الله ، فمن العباد من بسط له ووسع عليه ... ومنهم من ضيق عليه وقتر حكمة من الله « الحكيم الخبير » فان كنت — أيها المريد — من المقتر عليهم فعليك بالصبر والقناعة ، مع الاجتهاد والعمل وان كنت من الموسع عليهم فأصب كفايتك وخذ حاجتك بما فى يدك ، واصرف مابقى فى وجوه الخير وسبل البر .

ثالث عشر : (فى أن السير الى الله لاينافى الكسب ولا يقتضى التجرد عن الأسباب)

اعلم أنه لايتعين على الانسان اذا أراد الدخول فى طريق الله أن يخرج من ماله ان كان له مال أو يترك حرفته وتجارته ان كان محترفا

---

(٢٤) عن اختيار لا عن اضطرار ، لايبقى على شيء من المال لنفسه ، ولم يكن أمره في ذلك عن كسل ، أو عجز ، أو خنوع ، أو ضعف .

(٢٥) آية ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ الزخرف .

أو متجرا بل الذى يتعين عليه تقوى الله فيما هو فيه والاجمال فى الطلب [٢٦] بحيث لايترك فريضة ولا نافلة • ولايقع فى محرم ولا فضول لا تصلح الاستعانة به فى طريق الله •

فان علم المريد أنه لايستقيم قلبه ولايسلم دينه الا بالتجرد عن المال لزمه ذلك فان كان له من تجب نفقتهم وكسوتهم لزمه القيام بذلك والسعى له • فان عجز عن ذلك عجزا يعتبره الشرع فقد خرج من الحرج وسلم الاثم •

واعلم — أيها المريد — أنك لاتقدر على ملازمة الطاعات ومجانبة الشهوات والاعراض عن الدنيا الا بأن تستشعر فى نفسك أن مدة بقائك فى الدنيا أيام قليلة • وأنك عما قريب تموت فتنتصب أجلك بين عينيك وتستعد للموت وتقدر نزوله بك فى كل وقت • واياك وطول الأمل فانه يميل بك الى محبة الدنيا ، ويثقل عليك ملازمة الطاعات والاقبال على العبادة والتجرد لطريق الآخرة ، وفى تقدير قرب الموت وقصر المدة الخير كله • فعليك به • وفقنا الله واياك •

رابع عشر : (فى الصبر على أذى الناس والحذر من فتنتهم)

وربما تسلط الخلق على بعض المريدين بالايذاء والجفاء والذم • فان بليت بشىء من ذلك فعليك بالصبر وترك المكافأة مع نظافة القلب من الحقد واضمار الشر • واحذر الدعاء على من آذاك ولا تقل اذا أصابته مصيبة هذا بسبب أذاه لى •

وأفضل من الصبر على الأذى العفو عن المؤذى والدعاء له وذلك من أخلاق الصديقين • وعد اعراض الخلق عنك نعمة عليك من ربك فانهم لو أقبلوا عليك ربما شغلوك عن طاعته ، فان ابتليت باقبالهم

---

(٢٦) هو الاتئاد ، والاعتدال وعدم الافراط فيه •

وتعظيمهم وثنائهم وترددهم عليك فاحذر من فتنتهم واشكر الله الذى ستر مساويك عنهم .

ثم ان خشيت على نفسك من التصنع والتزين لهم والاشتغال عن الله بمخالطتهم فاعتزلهم وأغلق بابك عنهم . والا فارق الموضع الذى عرفت به الى موضع لاتعرف فيه .

وكن فارا من الشهرة والظهور فان فيه الفتنة والمحنة ، قال بعض السلف : والله ماصدقوا لله عبد الا أحب أن لايشعر بمكانه .

وقال آخر : ما أعرف رجلا أحب أن يعرفه الناس الا ذهب دينه وافتضح .

خامس عشر : (فى اطراح مراقبة الخلق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)

واجتهد فى تنزيه قلبك من خوف الخلق ، ومن الطمع فيهم فان ذلك يحمل على السكوت على الباطل وعلى المداهنة فى الدين ، وعلى ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكفى به ذلا لصاحبه لأن المؤمن عزيز بربه لايخاف ولايرجو أحدا سواه .

وان وصلك أحد من اخوانك المسلمين بمعروف من وجه طيب فخذه ان كنت محتاجا اليه واشكر الله فانه المعطى حقيقة واشكر من أوصله اليك على يده من عباده . وان لم تكن لك حاجة اليه فانظر فان وجدت الأصلح لقلبك أخذه فخذه ، أو رده فرده برفق بحيث لا ينكسر قلب المعطى فان حرمة المسلم عند الله عظيمة .

واياك والرد للشهرة والأخذ بالشهوة . ولأن تأخذه بالشهوة خير لك من أن ترده للشهرة .. بالزهد والاعراض عن الدنيا ، والصادق

لا يلتبس عليه أمر ، ولابد أن يجعل له ربه نورا فى قلبـــه يعـــرف به مايراد عنه •

سادس عشر : (فى الزجر عن طلب المكاشــفات والكرامات)

ومن أضر شيء على المريد طلبه للمكاشفات واشتياقه الى الكرامات وخوارق العادات ، وهى لاتظهر له ، مادام مشتهيا لظهورها لأنهـــا لا تظهر الا على يد من يكرهها ولايريدها غالبا •

وقد تقع لطوائف من المغرورين استدراجا لهم وبلاء لضـــعفه المؤمنين منهم •• وهى فى حقهم اهانات وليس كرامات • انما تكون كرامات اذا ظهرت على أهل الاستقامة ، فان أكرمك الله ــ أيها المريد ــ بشيء منها فاحمده سبحانه عليه • ولا تقف مع ماظهر لك ولا تركن اليـــه ولا تحدث به الناس ، وان لم يظهر لك منها شيء فلا تتمناه ولا تأسف على فقـــده •

واعلم أن الكـــرامة الجامعة لجميع أنواع الكـــرامات الحقيقيات والصوريات هى الاســـتقامة المعبر عنها بامتثال الأوامر واجتناب المناهى ظاهرا وباطنا فعليك بتصحيحها واحكـــامها تخدمك الأكوان العـــلوية والســـفلية خدمة لا تحجبك عن ربك ولا تشغلك عن مراده منـــك •

سابع عشر : (فى طلب الرزق والسعى اليه)

ولتكن ــ أيها المريد ــ حسن الظن بربك أنه يغنيك ويكفيك ويحفظك ويقيك ولا يكلك الى نفسك ولا الى أحد من الخلق ، فانه سبحانه قد أخبر عن نفســـه أنه عند ظن عبده به ، وأخرج من قلبك خوف الفقـــر وتوقع الحاجة الى الناس ، وكن واثقا بوعد ربك وتكفله بك حيث يقول تعالى : (وما من دابة فى الأرض الا علي الله رزقها)[٢٧] وأنت من

---

(٢٧) ســـورة هود آية ٦ •

جملة الدواب فاشتغل بما طلب منك عما ضمن لك فان مولاك لا ينساك وقد أخبرك أن رزقك عنده وأمرك بطلبه منه بالعبادة والعمل .

فقال تعالى : (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له) . أما تراه سبحانه يرزق الكافرين به الذين يعبدون غيره ؟

أفتراه لايرزق المؤمنين الذين لايعبدون سواه ، ويرزق العاصين له والمخالفين لأمره ولا يرزق المطيعين له المكثرين من ذكره وشكره ؟ .

واعلم أنه لا حرج عليك فى طلب الرزق بالحركات الظاهرة على الوجه المأذون لك فيه شرعا وانما البأس والحرج فى عدم سكون القلب واهتمامه واضطرابه ومتابعته لأوهامه .

وأما التجرد عن الأسباب والدخول فيها فهما مقامان يقيم الله فيهما من عباده من يشاء . فمن أقيم فى (التجرد) فعليه بقوة اليقين وسعة الصدر وملازمة العبادة . ومن أقيم فى (الأسباب) فعليه بتقوى الله فى سببه وبالاعتماد على الله دونه ، وليحذر من الاشتغال به عن ربه ، وقد ترد على المريد خواطر فى أمر الرزق وفى مراءاة الخلق وفى غير ذلك وليس ملوما ولا مأثوما عليها اذا كان كارها لها ومجتهدا فى نفيها من قلبه .

ثامن عشر : (فى صحبة الأخيار وأدب المريد مع شيخه وأوصاف الشيخ الكامل)

ولتكن لك — أيها المريد — عناية تامة بصحبة الأخيار ومجالسة الصالحين الأبرار . وكن شديد الحرص على طلب شيخ صالح مرشد ناصح عارف بالشريعة ، سالك للطريقة ، ذائق للحقيقة كامل العقل واسع الصدر حسن السياسة عارف بطبقات الناس مميز بين غرائزهم وفطرهم وأحوالهم .

فان ظفرت به[٢٨] فألق نفسك عليه وحكمه فى جميع أمورك وارجع الى رأيه ومشورته فى كل شأنك[٢٩] واقتد به فى جميع أفعاله وأقواله [٣٠] الا فيما يكون خاصا منها بمرتبة المشيخة[٣١] .

واحذر من مطالبة الشيخ بالكرامات والمكاشفة بخواطرك فان الغيب لا يعلمه الا الله، وغاية الولى أن يطلعه الله على بعض الغيوب فى بعض الأحيان وربما دخل المريد على شيخه يطلب منه أن يكاشفه بخاطره فلا يكاشفه وهو مطلع عليه ومكاشف به صيانة للسر وسترا للحال فانهم رضى الله عنهم أحرص الناس على كتمان الأسرار وأبعدهم عن التظاهر بالكرامات والخوارق وان مكنوا منها وصرفوا فيها[٣٢] .

وأكثر الكرامات الواقعة من الأولياء وقعت بدون اختيارهم ، وكانوا اذا ظهر عليهم شىء من ذلك يوصون من ظهر له أن لايحدث به حتى يخرجوا من الدنيا ، وربما أظهروا منها شيئا اختيارا لمصلحة تزيد على مصلحة الستر .

واعلم أن الشيخ الكامل هو الذى يفيده[٣٣] بهمته وفعله وقوله ويحفظه فى حضوره وغيبته [٣٤] وان كان المريد بعيدا عن شيخه من حيث المكان .

---

(٢٨) وقلما يوجد فى هذه الأزمان شيخ مرب بهذه الأوصاف .

(٢٩) فهو كالطبيب الماهر للعليل السقيم .

(٣٠) اذ من هذه صفاته تكون أفعاله وأقواله على نهج الشرع القويم .

(٣١) أى التى هى مرتبة التربية والرعاية للمريدين .

(٣٢) مكنهم الله منها وصرفهم فيها بقدرته تعالى فكانوا بمنزلة الأسباب العادية .

(٣٣) الضمير للمريد .

(٣٤) بنصه وارشاده وأحاديثه واخباره واحواله .

واعلم أنه ينبغى للمريد الذى يطلب شيخا أن لايحكم فى نفسـه كل من يذكر بالمشيخة وتسليك المريدين حتى يعرف أهليتـه[٣٥] ويجتمع عليه قلبه ، وكذلك لاينبغى للشيخ اذا جاء المريد يطلب الطريق أن يسمح له بها من قبل أن يخبر صـدقه فى طلبه ، وشدة تعطشه الى من يدلـه على ربـه •

وهذا كله فى شـيخ التحكيم ، وقد شرطوا على المريد أن يكون معه كالميت بين يدى الغاسـل وكالطفل مع أمه ، ولايجرى هذا فى شيخ التبـرك ، ومهما كان قصد المريد التبرك دون التحكيم فكلما أكثر من لقاء المشايخ وزيارتهم والتبرك بهم كان أحسن •

واذا لم يجد المريد شيخا فعليه بملازمة الجد والاجتهاد[٣٦] مع كمال الصـدق فى الالتجاء الى الله والافتقار اليه فى أن يقيض له من يرشده ، فسـوف يجيبه من يجيب المضطر • ويسوق اليه من يأخـذ بيده من عباده •

تاسع عشر : (لآداب المريد مع شيخه)

واذا أردت — أيها المريد — من شـيخك أمرا أو بدا لك أن تسأله عن شىء فلا يمنعك اجلاله والتأديب معه عن طلبه منه وسؤاله عنـه وتسأله المرة والمرتين والثلاث فليس السكوت عن السؤال والطلب من حسن الأدب • اللهم الا أن يشـير عليك الشيخ بالسكوت ويأمرك بترك السؤال • فعند ذلك يجب عليك امتثاله •

واذا منعك الشيخ عن أمر أو قدم عليك أحدا فأياك أن تتهمـه ولتكن معتقدا أنه قد فعل ماهو الانفع والأحسن لك : واذا وقع منـك

---

(٣٥) بميزان الشرع واستقامة الحال .

(٣٦) فى العبادة والطاعة على منهاج الشرع القويم .

ذنب ووجد عليك[٣٧] الشيخ بسببه فبادر بالاعتذار اليه كأن فقدت منه بشرا كنت تألفه أو نحو ذلك فلعله تغير عليك لشىء أحدثته فتتوب عنه • أو لعل الذى توهمته لم يكن عند الشيخ وألقاه الشيطان اليك ليسوءك به ، فاذا عرفت أن الشيخ راض عنك سكن قلبك بخلاف ما اذا لم تحدثه وسكت بمعرفة منك بسلامة جهتك •

خاتمة :

(فى أوصاف المريد الصادق ومايجب أن يكون عليه)

قال بعض العارفين رضى الله عنهم ونفعنا بهم أجمعين :

١ ــ لايكون المريد مريدا حتى يجد فى القرآن كل مايريد ، ويعرف النقصان من المزيد ، ويستغنى بالمولى عن العبيد ويستوى عنده الذهب والحديد[٣٨] •

٢ ــ المريد من حفظ الحدود ، ووفى بالعهود ،ورضى بالموجود ، وصبر عن المفقود •

٣ ــ المريد من شكر على النعماء ، وصبر على البلاء ، ورضى بمر القضاء وحمد ربه فى السراء والضراء ، وأخلص له فى السر والنجوى •

٤ ــ المريد من لاتسترقه الأغيار ، ولا تستعبده الآثار ، ولا تغلبه الشهوات ، ولاتحكم عليه العادات ، كلامه ذكر وحكمة ، وصمته فكرة وعبرة ، يسبق فعله قوله ويصدق علمه عمله ، شعاره الخشوع والوقار ودثاره التواضع والانكسار يتبع الحق ويؤثره ويرفض الباطل وينكره ، يحب الأخيار ويواليهم ، ويبغض الأشرار ويعاديهم ، خبره أحسن من خبره ، ومعاشرته أطيب من ذكره ، كثير المعونة ، خفيف المؤنة ، بعيد عن الرعونة ، أمين مأمون ، لايكذب ولايخون لا بخيلاً ولا جبانا ،

---

(٣٧) غضبك عليك .

ولا سبابا ولا لعانا ، ولايشتغل عن بده[٣٨] ، ولا يشح بما فى يــده ، طيب الطوية ، حسن النية ، ساحته من كل شر نقية وهمته فيما يقــربه من ربه علية ، ونفســه على الدنيا أبية ، لا يصر على الهفوة ، ولا يقدم ولا يحجم بمقتضى الشهودة ، قرين الوفاء والفتوة ، حليف الحيــاء والمروة ينصف كل أحد من نفســه ولا ينتصف لها من أحد ، انى أعطى شكر ، وان منع صبر وان ظلم تاب واســتغفر ، وان ظلم عفا وغفر ، يحب الخمول والاستتار ويكره الظهور والاشتهار ، لسانه عن كل ما لا يعنيــه ، مخزون ، وقلبه على تقصــيره فى طاعة ربه محزون ، لا يداهن فى الدين ولايرضى بســـخط رب العلمين ، يأنس بالوحدة والانفراد ، ويستوحش من مخالطة العباد ، ولا تلقاه الا على خير يعمله أو عــلم يعلمه ، يرجى خيره ، ولايخشى شره ، ولا يؤذى من آذاه ، ولا يجفو من جفاه كالنخلة ترمى بالحجر فترمى بالرطب ، وكالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها الا كل مليح ، تلوح أنوار صدقه على ظاهره ، ويكاد يفصح مايرى على وجهه عما يضمر فى سرائره ، سعيه وهمتــه فى رضا مولاه — وحرصــه ونهمته فى متابعة رسوله وحبيبه ومصطفاه يتأسى به فى جميع أحواله ، ويقتدى به فى أخلاقه وأفعاله وأقوالــه ممتثلا لأمر ربه العظيم فى كتابه الكريم حيث يقول : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ، (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) ، (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله) ، (قل انكنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) •

(فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصــــيبهم عــذاب أليم) •

---

(٣٨) البد / بالفتح والكسر والنصــيب اى لا يشتغل لحظ نفســـه ونصـــــيبها •

فتراه فى غاية الحرص على متابعة نبيه ممتثلا لأمر ربه راغبا فى الوعد الكريم وهاربا من الوعيد الأليم الواردين فى الآيات التى أوردناها وفيما لم نورده مما هو فى معناها المشتملة على البشارة بغاية الفوز والفلاح للمتبعين للرسول ، وعلى النذارة بغاية الخزى والهوان للمخالفين له .

(اللهم) انا نسألك بأنك أنت الذى لا اله الا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاكرام أن ترزقنا كمال المتابعة لعبدك ورسولك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه وأعماله وأقواله ظاهرا وتحيينا وتميتنا على ذلك برحمتك يا أرحم الراحمين .

مصطلحات صوفية

[illegible]

« الحقيقة والشريعة »

يقـول الامام القشـيرى :

(الشريعة أمر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية • فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعـة فغير مقبول فالشريعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة انباء عن تعريف الحق ، والشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده • سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول (قوله تعالى « اياك نعبد » حفظ للشريعة ، (واياك نستعين) اقرار بالحقيقة)[1] •

ويضع الامام القشـيرى ربطا عضـويا بين الحقيقة والشريعـة اذ يقـول :

(واعلم أن الشريعة حقيقة من حيث انها وجبت بأمره •

والحقيقة أيضا شريعة من حيث[2] ان المعارف به سـبحانه وجبت بأمـره) •

ويزيدنا الصوفى الفقيه ، أو الفقيه الصوفى العز بن عبد السـلام ت ٦٦٢هـ وضوحا فيقـول :

(الشريعة اقامة وظائف العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبيـة • فالشريعة مجاهدة ، والحقيقة مشاهدة ، ولايتباين بينهما ، اذ هما متلازمان اذ الطريق الى الله سبحانه وتعالى لها ظاهر وباطن ، فظاهرها الشريعة وباطنها الحقيقة ، فبطون الحقيقة فى الشريعة كبطون الزبد فى لبنه[3] •

---

(١) الرسـالة ص٢٩٦ •

(٢) الرسـالة ص٢٩٦ •

(٣) هذا هو ما نؤثر التعبير عنه بالتكامل الذى تلتقى معه جوانب الشـخصية الانسانية : عقلا ، وجدانا ، أو لنقل عقلا ووجدانا وجسـدا انظر كتابنا : معالم شخصية المسلم « التكوين الانسانى » •

فالمراد من الحقيقة والشريعة اقامة العبودية على الوجه المراد منك وكل شريعة لا حقيقة لها فهى باطلة ، وكل حقيقة لا شريعة معها فهـى باطـلة)(٤) •

ويربط الشيخ أحمد — بن أحمد — بن زروق بين الحقيقة والشريعة ربطا قويا اذ يقـول :

(لا تصـوف الا بفقه ، اذ لاتعرف أحكام الله الظاهرة الا منه • ولا فقه الا بتصـوف اذ لا عمل الا بصدق وتوجه •

ولا هما الا بايمان •••

ومنه قول مالك رضى الله عنه : (من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق • « قلت تزندق الأول لأنه قال بالجبر الموجب لنفى الحكمة والأحكام •

وتفسق الثانى لخلو عمله من التوجه الحاجب عن معصية الله ، وتحقق الثالث لقيامه بالحقيقة فى عين التمسك بالحق فاعرف ذلك)(٥) •

وفى ضرورة التقيد بالكتاب والسـنة يحكى الشيخ الشعرانى عن شـيوخه الكبار قولهم (لايخلو كلام القوم من ثلاثة أحوال : اما أن يوافق صريح السنة فهذا د كلام فيه لأحد ،واما — أن يخالف صريـح السـنة فهـذا لايجوز لأحد العمل به ، واما أن لا يظهر لنا موافقته ولا مخالفته فاحسن أحواله الوقف) •

ويقول (سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : « ما ثم عند المحققين حقيقة تخالف شريعة أبدا ، انما كل واحدة تأتى مؤيدة للاخرى

---

(٤) بين الشريعـة والحقيقة للعز بن عبد السلام : نشرة سلسـلة الثقافة الاسـلامية عام ١٩٦١ •

(٥) قواعد التصـوف ص٤ •

فى نفس الأمر ، حتى أنهم أجمعوا على قولهم (حقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلا حقيقة عاطلة) .

ويقول عن أخلاق الصوفية (ومن أخلاقهم التى أجمعوا عليها ونفذت بها وصاياهم الى سائر أقطار الأرض أنه لايجوز لأحد التصدر فى طريق القوم لارشاد المريد الا بعد تبحره فى علوم الشريعة المطهرة والحقيقة ، من تفسير وحديث وفقه وأصول ، بحيث يعد لمناظرة العلماء ورد المبتدعة ...) ويقول : (ان التبحر فى الشريعة هو أساس طريق الحقيقة، وانهما متلازمان ملازمة الظل للشخص)(٦) .

وليس الصوفى متمسكا بالشريعة فحسب بل هو يتفوق على غيره فى هذا التمسك .

يقول أبو العباس أحمد بن أحمد بن زروق ت ٨٩٩هـ .

(نظر الصوفى للمعاملات أخص من نظر الفقيه ، اذ الفقيه يعتبر مايسقط به الحرج ، والصوفى ينظر مايحصل به الكمال .

وأخص أيضا من نظر الأصولى ، لأن الأصولى يعتبر مايصح به المعتقد والصوفى ينظر فيما يتقوى به اليقين .

وأخص أيضا من نظر المفسر وصاحب فقه الحديث لأن كلا منهما يعتبر الحكم والمعنى ليس الا ، وهو يزيد بطلب الاشارة بعد اثبات ماأثبتوه والا — أى اذا أهمل ما أثبتوه — فهو باطنى خارج عن الشريعة فضلا عن المتصوفة)(٧) .

واذا كانت الحقيقة زبدة لبن الشريعة كما عبر عن ذلك الشيخ

---

(٦) الأخلاق المتبولية ط١٩٧٥ جزء ص١٧٥ ، ١٦٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ .

(٧) قواعد التصوف ص٣٣ ط١٩٦٨ بالقاهرة .

العز بن عبد السلام فانه قد يتبين لنا من كلامه أيضا أن هذا لا يعنى الاسترسال مع هذا التشبيه أو امكان وجود الحقيقة منعزلة عن الشريعة .

بل نجد عند الصوفية تساميا بالفقه على التصوف من زاوية معينة ، وذلك اذ يقول الشيخ أحمد بن أحمد بن زروق :

(حكم الفقه عام فى العموم لأن مقصده اقامة رسم الدين ورفع مناره واظهار كلمته .

وحكم التصوف خاص فى الخصوص لأنه معاملة بين العبد وربه .. فمن ثم صح انكار الفقيه على الصوفى ، ولا يصح انكار الصوفى على الفقيه)[٨] . ولذا فان الشيخ زروق يقف عند قول (سيدى أبى عبد الله ابن عباد — رحمه — فى وصيته للصوفية :

« لاتجعلوا لأحد من أهل الظاهر حجة على أهل الباطن » ..) .

يقف ليقول : (قلت يحثون على أن يجعلوا أهل الظاهر حجة لهم لا عليهم اذ كل باطن مجرد عن الظاهر باطل ، والحقيقة ماعقد بالشريعة فافهم)[٩] .

وعند الصوفية لا يختلط الأمر بين الحقيقة عندهم وبين الباطن عند الباطنية (يقول ابن زروق عن الصوفية :

(قوم أثبتوا المعانى وحققوا المبانى ، وأخذوا الاشارة من ظاهر اللفظ وباطن المعنى ، وهم الصوفية المحققون والأئمة المدققون .

لا الباطنية الذين حملوا الكل على الاشارة فهم لم يثبتوا المعنى

---

(٨) قواعد التصوف ص١٥ .

(٩) قواعد التصوف ص١٨ .

ولا العبارة ، فخرجوا عن الملة ، ورفضـوا الدين كله ، نسـأل الله العافية)[١٠] .

ومن هنا كان التمسـك بالشريعة علامة تفرق بين المتصوفة وأدعياء التصـوف . لقد وضع الامام الغزالى لهذه التفرقة علامتين ، واذا كانت احدى هاتين العلامتين « أن يكون حاضر القلب ... الخ » فان العلامة الأولى هى أن يكون ملتزما بالشريعة يقول[١١] :

(أن تكون جميع أفعاله الاختيارية موزونة بميزان الشرع موقوفة على حد توقيفاته ايرادا ، واصدارا ، واقداما ، واحجاما .

اذ لايمكن سلوك هذا السبيل الا بعد التلبس بمكارم الشريعـة كلها ، ولايمكن ذلك الا بعد تهذيب الأخلاق ...) .

فان قيل : هذا شأن السالك الذى يجاهد الكسـل والهوى فأمـا من فرغ من قهرها فهو واصـل لا سالك ؟ .

يقول الغزالى : (هذا عين الغرور وجهل بالطريق والمقصد جميعا ، بل لو محى جميع الصـفات الردية كانت نسبته الى المقصود كمعتـدة تطمع أن يتزوجها الخليفة ، فاذا قضت عدتها المانعة ظنت أن الأمور قد تمت وهيهات) .

فان قيل : فهل تنتهى رتبة السالك الى حد ينحط عنه بعض وظائف العبادات ولا يضره بعض المحظورات ، كما نقل عن بعض الناس ؟ .

يقول الامام الغزالى :

(فاعلم أنه شيطان ، وذلك أن الشريعة حنيفية سمحة ، فمهـا

---

(١٠) قواعد التصوف ص٤٧ .

(١١) انظر مفوهم التصوف للدكتور سليمان دنيا ص٤٦ — ٤٨ .

مست حاجة أو حصلت ضرورة كان للشرع فيها رخصة فمن جاوز محل الرخصة فلايكون عن ضرورة بل عن هوى وشهوة ...) .

ثم يقول فهذه العلامة لابد منها فى أول المنازل وتبقى الى آخرها ، وليس لمنازل السير الى الله تعالى نهاية وانما الموت يقطع طريق السلوك فيبقى كل انسان بعد الموت على الرتبة التى حصلها فى مدة الحياة ، اذ يموت المرء على ماعاش عليه)[١٢] .

قال أبو يزيد البسطامى لأحد جلسائه :

« قم بناحيتى ننظر الى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه بالولاية » فمضينا اليه ، فلما خرج الرجل من بيته ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه ، وقال :

« هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على مايدعيه ؟

وذكر رجل (المعرفة) أما م الجنيد « وقال : أهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والقرب الى الله عز وجل » .

فقال الجنيد :

« ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الأعمال وهو عندنا عظيمة ، والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا » .

والسؤال الآن لا عن أولئك الذين يتعمدون التعارض بين الحقيقة والشريعة لخبث فى طويتهم وانما عن الذين يحدث لهم ذلك بغير ارادة منهم ، وفى هؤلاء يقول الامام أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه :

---

(١٢) انظر مفهوم التصوف للدكتور سليمان دنيا ص٤٦ ، ص٤٨ .

(اذا تعارض كشفك مع الكتاب فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف ، وقل لنفسك :

ان الله تعالى ضمن لى العصمة فى الكتا بوالسنة ولم يضمنها فى جانب الكشف ولا الالهام ولا المشاهدة) •

هذا وانا لنجد من التمسير ى هذا المقام ألا نشير هنا الى الفتوى الجليلة التى كتبها الامام الغزالى فى وصف الروابط العميقة لتى تربط بين الحقيقة والشريعة ، ولاتسمح بأى نوع من التحايل الذى يبثه الشيطان فى مخالفة الشريعة • وقد جاءت هذه الفتوى فى طبقات الشافعية لتاج الدين السبكى ، وليرجع اليها من أراد التوسع وزيادة الفائدة [١٣] •

« الوقت »

اصطلاح صوفى يقصد به كما ذكر الأنصارى : (حادث متحقق علق عليه حصول حادث متوهم) • تقول : آتيك رأس الشهر فالاتيان متوهم ورأس الشهر حادث متحقق •

ويقول : أبو على الدقاق : الوقت ما أنت فيه ، يريد بهذا — كما يقول القشيرى — : ان الوقت ماكان هو الغالب على الانسان •

وقد يعنون — أى الصوفية — بالوقت — الحال ، قالوا : الوقت مابين الزمانين ، يعنى الماضى والمستقبل • ويقولون : الصوفى ابن وقته يريدون بذلك أنه مشتغل بما هو أولى به من العبادات فى الحال قائم بما هو مطلوب منه فى الحين • وقيل : الفقير لايهمه ماضى وقته وآتيه ، بل يهمه وقته الذى هو فيه •

ويخطىء من يسارع الى استنتاج أن الصوفية قوم يعيشون

---

(١٣) أنظر بحوث المنقذ من الضلال للدكتور عبد الحليم محمود ص٢١٢ الطبعة الخامسة .

للحظتهم غير مبالين بمستقبلهم ولا متذكرين لماضيهم ، شأن أصحاب اللذة فهم بالبداهة أبعد مايكونون عن ذلك ، ولكنهم يقصدون بكلامهم عن الوقت : التوجه اليه بالاستفادة منه دون تضييع ، ولذلك قالوا : الاشتغال بفوات وقت ماض تضييع وقت ثان ، وقالوا : الوقت سيف وقال أبو على الدقاق : الوقت مبرد يسحقك ولايمحقك .

وقد يريد الصوفية بالوقت : مايصادفهم من تصريف الحق لهم أولا بأول دون مايختارون لأنفسهم ، ويقولون : فلان بحكم الوقت : أى أنه مستسلم لما يبدو له من الغيب ، من غير اختيار له .

ومرة أخرى نقول : يخطىء من يسارع الى استنتاج أنهم بهذا يحضون على التواكل ، وترك الواجبات ، اذ أنهم يسارعون الى القول بأن التسليم المطلوب انما يكون فى الأمور الاضطرارية أى (لما يبدو أنه من الغيب ، واقع من غير اختيار) .

وأنه لايكون فيما يكون لله تعالى فيه أمر تكليفى أو اقتضاء بحق شرع (اذ التضييع لما أمرت به ، واحالة الأمر فيه على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين ! [١٤] .

هكذا : تضييع الوقت وترك الواجبات وترك المبالاة : خروج على الدين .

فمفهومهم عن الوقت اذن : يعنى شدة الحرص عليه ، والتشبث بكل ثانية تمر منه من أجل الاستفادة القصوى به ، وأنه يعنى ترك أحلام اليقظة ، وخلع أسمال الكسل ، والانتهاض الفورى الى العمل وما أحرانا نحن بأن نؤصل هذا المفهوم فى أصوله الاسلامية ، وأن نجعله منهجا فى اصلاح احوالنا الدنيوية والدينية .

---

(١٤) الرسالة ص٢٣٠ ومابعدها .

« المقــام »

يقــول الامام القشيرى (المقام مايتحقق به العبد بمنازلته[١٥] من الآداب مما يتوصــل اليه بنوع تصرف ، ويتحقق به بضرب تطلــب ومقاساة تكلف) .

فمقام كل أحد هو موضع اقامته عند ما هو مشتغل باكتسابه .

ونجد هذا المعنى نفســه عند الامام الطوسى اذ يقول عن المقــام (معناه مقام العبد بين يدى الله عز وجل فيما يقام فيه من العبــادات والمجاهدات والرياضيات والانقطاع الى الله عز وجــل ، قال تعالى : « ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد » وقال (وما منا الا له مقام معلوم) وسئل أبو بكر الواسطى رحمه الله عن قول النبى صلى الله عليه وسلم الأرواح جنود مجندة « قال : (مجندة) على قدر المقامات » .

ومن أمثلة المقامات : مقام التوبة ، والانابة والورع والزهد والصبر والقناعة والتســليم[١٦] .

وشرط الدخول فى مقام أن يستوفى أحكام المقام الذى قبله ، فان من لا توبة له لا تصح له الانابة ، ومن لا ورع له لايصح له الزهد ، ومن لا قناعة له لايصح له التوكل ، ومن لا توكل له لايصح له التسليم .

وهذا فى رأيى هو التميز الذى تتميز به الصوفية ، أعنى ادراكهم منهجا تربويا دقيقا للترقى فى مدارج العبادة والقرب من الله سبحانه وتعــالى .

يقول الامام الغزالى : لابد لكل مقام من علم وعمل وحال ، فالمقام يثمر علما والعمل يثمر حالا[١٧] .

---

(١٥) أى باكتســــابه .

(١٦) اللمـــع ص٦٥ .

(١٧) الرسالة ص٢٣٤ مع الهامش .

« الحــال »

الحال : معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتنــاب ولا اكتساب من طرب أو حزن أو بســط أو قبض أو مراقبة أو محبــة أو رجاء أو شــوق أو نس ، أو طمأنينة أو مشاهدة أو يقين .

وليس الحال من طريق المجاهدات والعبادات والرياضيات كالمقامات فالأحوال مواهب والمقامات مكاســب .

وأشار قوم الى بقاء الأحوال ودوامها فقال بعضهم ان الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم[١٨] وقال آخرون : انها اذا لم تدم ولم تتــوال فهى لوائح وبواده ولم يصل صاحبها بعد الى الأحوال فاذا دامت تلك الصــفة فعند ذلك تسمى « حالا » .

ولكن لصاحب هذه الحال ـــ المتقررة ـــ أحوال هى طوارق لا تدوم ، تأتيه من فوق أحواله التى صارت دائمة له ، فاذا دامت هذه الطوارق واســتقرت ارتقى الى أحوال أخرى فوق التى حصلت له .

ومقدورات الحق سبحانه من الألطاف لا نهاية لها ، فلا معنى يوصل اليه الا وفى مقدوره سبحانه ماهو فوقه يقدر أن يوصله اليــه ، فالعبد أبدا فى ارتقاء أحواله .

وربما تعرض للسالك لوائح مما تحت الحال الذى هو فيه ، وهذا هو ما سماه أبو على الدقاق « غينا » وذلك اذا ارتقى من حالة الى حالة أعلى مما كان فيها ، فربما حصــل له ملاحظة الى ما ارتقى عنها ، فكان يعدها غينا ، بالاضافة الى ما حصــل فيها أخذا من قوله صلى الله عليه

---

(١٨) اللمــع ص٦٦ .

وسلم (انه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله تعالى فى اليوم سبعين مرة) رواه مسلم وأحمد والنسائى وأبو داود [١٩] .

وبهذا يتبين الفرق بين المقام والحال ، من ناحية الاكتساب وعدمه كما يتبين الفرق بين الحال والغين والطارق ، من ناحية الدوام الذى يصير حالا ، وعدم الدوام الذى اذا نظرت فيه الى حال أقل سمى غينا واذا نظرت منه الى حال أعلى سمى طارقا .

وهنا نلاحظ تميزا آخر مما تتميز به الصوفية ،وهو ادراكهم لأحوال النفس البشرية ، وأنها فى حركة دائمة فاذا لم تصعد هبطت . يقول الامام السهروردى : (قال بعض الصوفية : التصوف كله اضطراب ، فاذا وقع السكون فلا تصوف ، والسرفيه : أن الروح مجذوبة الى الحضرة الالهية ، يعنى أن روح الصوفى متطلعة الى مواطن القرب ، وللنفس بوصفها رسوب الى عالمها ، وانقلاب على عقبها . ولابد للصوفى من دوام الحركة بدوام الافتقار — وهذه هى الحركة الى الله — ودوام الفرار)[٢٠] وهذه هى الحركة عن النفس .

---

(١٩) الرسالة ص٢٣٦ — ٢٣٨ .

(٢٠) عوارف المعارف ص٢٠٨ .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وجهات فى أفق التصوف

[illegible]

[illegible]

وجهـات التصـوف

الكمال هو لله وحده وجوبا

والتكامل يمكن تحققه لشـخصية الرسول بعناية الله اذ يقـول تعالى فيه « .... ولتصنع على عينى » .

واذا كان المنهج الاسلامى هو كما قلنا منهج التكامل فى شـخصية المسلم بالتقاء الاسلام فيه : بعقله ووجدانه وجسـده ...

واذا كان التصـوف الاسلامى كما قدمناه فى أصوله الاسلامية .. فان التكامل فى شـخصية الصوفى لايصـل اليه أحد لأنه لا يصل أحد الى مرتبة العصمة النبوية ..

لذا كان لابد من أن نرى فى رجال التصـوف ثقلا فى جانب من جوانب التجربة الصـوفية عندهم دون جانب آخر ، فيبدون فى تاريخ التصـوف متميزين فى هذا الجانب دون ذاك .

يقول الشيخ ابن زروق فى كتابه قواعد التصـوف :

(تعـدد وجوه الحسن يقضى بتعدد الاستحسـان ، وحصـول الحسن لكل مستحسن ، فمن ثم كان لكل فريق طريق)[1] .

ويقـول سـبحانه وتعالى :

« ولكل وجهة هو موليها ... » .

ومن خلال هذا المفهوم : مفهوم الوجهة كضرورة من ضرورات الضعف البشرى ، ننظر الى التجارب المتنوعة فى تاريخ التصـوف الاسلامى ، رافضين النظر اليها من خلال مفهوم التطور .

---

(١) قواعد التصـوف ص٣٥ .

ففى الوقت الذى تقوم فيه الوجهة على أساس وجود الوجهات جميعا فى الساحة الشاملة للأفق الاسلامى المتكامل وان الصوفى بشر : يرى من خلال وجهته القريبة اليه •••• دون ادعاء افتقاد الوجهات الأخرى فى الأفق الشامل •••••

تقوم نظرية التطور على أساس ولادة الجديد من أحشاء القديم بطرو مايطرأ على القديم أثناء تكون الجديد •••

وهذا يعنى أن الأطوار اللاحقة لم يكن لها وجود من قبل كما يعنى أن عناصر الجديد احتاجت الى مصادر لم تكن عند القديم •••

وهذا ان صح فى تاريخ التصوف بوجه عام فانه لايصح عندنا اذا كنا نتحدث عن التصوف الاسلامى الذى رأينا أصوله جميعا موجودة فى الأفق الاسلامى الشامل • منذ نزول قوله تعالى

(اليوم أكملت لكم دينكم •••) •

ولهذا فاننا نرى فيما يسمى خطأ أطوارا للتصوف الاسلامى ، أو فيما يصح تسميته مدارس التصوف الاسلامى •••

« وجهات » فى التصوف ، التقت مع (وجهات) فى المتصوفة •

وطالما يكون التصوف اسلاميا أى فى رحاب الجو الاسلامى العام فانه يكون متوجها الى الحق ــ متصلا بالخير ، منطبقا عليه قوله تعالى (ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تولوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شىء قدير) •

يقول الشيخ ابن زروق :

(لايلزم من اختلاف المسالك اختلاف المقصد ، بل قد يكون متحدا مع اختلاف مسالكه ، كالعبادة والزهادة والمعرفة : مسالك لقرب الحق •••• وكلها متداخلة •

فلابد للعارف من عبادة ، والا فلا عبرة لمعرفته ••• ولا بد له من زهادة والا فلا حقيقة عنده اذ لم يعرض عن سواه •

ولا بد للعابد منهما اذ لا عبادة الا بمعرفة ، ولا فراغ للعبادة الا بزهــد •

والزهد كذلك اذ لا زهد الا بمعرفة ، ولا زهد الا بعبادة والا عاد بطــالة •

نعم من غلب عليــه العمل فعابد •
أو التــرك فزاهــد
أو النظر لتصريف الحق فعارف
والكل صوفية والله أعلم)[٢] •

ويقــول أيضــا :

(فى اختلاف المسالك راحة للسالك واعانة له على ما أراد من بلوغ الأرب والتوصــل بالمراد •

فاذلك اختلاف طرق القوم ، ووجوه سلوكهم :
فمن ناســك يؤثر الفضائل بكل حال •
ومن عابد يتمســك بصــحيح الأعمال •
ومن زاهد يفر من الخلائــق •
ومن عــارف يتعلق بالحقــائق •
ومن متمســك يتعلق بالقــوم فى كل مناط •
ومن مريد يقــوم بمعاملة البســاط •

والكل فى دائرة الحق : باقامة حق الشريعة والفرار من كل ذميمة وشــنيعة)[٣] •

---

(٢) قواعد التصوف ص ٧ — ٨ •
(٣) قواعد التصــوف ص٣٤ •

ويقول ابن زروق فى موضع آخر من كتابه :

(للعامى تصــوف حوته كتب المحاسبى ومن نحا نحوه .

وللفقيه تصوف رامه ابن الحاج فى مدخله .

وللمحدث تصــوف حام حوله ابن العربى فى سراجه .

وللعابد تصوف دار عليه الغزالى فى منهاجه .

وللمتريض تصوف نبه عليه القشــيرى فى رسالته .

وللناسك تصوف حواه القوت والاحياء .

وللحكيم تصــوف : أدخله الحاتمى فى كتبه .

وللمنطقى تصوف نحا اليه ابن سبعين فى تآليفه .

وللطبائعى تصــوف جاء به البونى فى أسراره .

وللاصولى تصوف قام الشاذلى بتحقيقه ، فليعتبر كل بأصله من محــله)[٤] .

---

(٤) ثم كتب ابن زروق نبذة عن كل وجهة من حيث مالها من مأخذ ، وما عليها من ماخذ او احتياط ، وبخاصة وجهة الحكيم والمنطقى والطبائعى قواعد التصــوف ٣٥ .

انحرافات ومصادر

انحرافات ومصـــادر

تلك هى أصـــــول التصوف : فى المنهج ، والعقيدة ، والأخلاق ، والتجربة ، والطريق • وهى أشد ماتكون وضوحا فى ارتباطها بالأصول الاسلامية بل فى قيامها عليها •

ولقد كان حديثنا عن التصوف الاسلامى فيما سبق منطبقا عــلى صــوفية السنة الذين نرى أنهم يمثلون التصوف الاسلامى الصحيح •

وأن يكون للصـــوفية مذهب أهل السنة أمر قد اتضـــح لنا من خــلال الحديث عن عقائدهم •

ونود أن نضيف بعد ذلك أنهم كانوا كذلك من حيث الفروع •

يقــول ابن زروق :

(لا يصـــح قول من قال : الصوفى لا مذهب له « الا من جهــة اختياره فى المذهب الواحد أحســـنه دليلا أو قصدا أو احتياطا أو غير ذلك مما يوصـــله لحاله •

والا فقد كان الجنيد ثوريا ــ نسبة الى سفيان الثورى ــ والشبلى مالكيا ، والحريرى حنفيا ، والمحاسبى شافعيا ، وهم أئمة الطريقــة وعمـــدتها •

وقول القائل : مذهب الصوفى فى الفروع تابع لأصحاب الحـــديث باعتبار أنه لايعمل من مذهبه الا بما وافق نصا ، ما لم يخالف احتياطا أو يفارق روعا)[1] •

ونود أن نتعرض هنا لنسبة الصـــوفية أو فريق منهم الى مصدر أجنبى عن الاسلام : كتابا وســـنة •

---

(١) قواعد التصـــوف ص٢٦ •

يقول الدكتور عبد الحليم محمود (ان المستشرقين ومن نهج نهجهم يحاولون جاهدين أن يعزوا التصوف الى مصدر معين ، أو الى مصادر مختلفة يشترك فيها المصدر الاسلامى أو لايشترك .

والتصوف اذن على رأى بعضهم :

« مذهب دخيل فى الاسلام مأخوذ اما من رهبانية الشام ، وهو رأى « ميركس » وأما من الأفلاطونية الجديدة ، وأما من رراد شتية الفرس ، واما من فيدا الهنود .

ويأخذا لمستشرقون فى مناقشة بعضهم البعض وهدم بعضهم البعض ، بل أن الشخص الواحد منهم يغير رأيه ، فيختلف باختلاف حياته، فالمستشرق « ثولك » مثلا يذهب فى أول حياته الى أن التصوف الاسلامى مأخوذ عن أصل مجوسى ، ثم يعدل عن ذلك الى الطرف المقابل ويرى أن التصوف وكل مافيه من الأقوال « المتطرفة » يمكن الرجوع به الى تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم)(٢) .

أما نيكلسون فيفصل فى الأمر تفصيلا واسعا ويقول :

١ — أن التصوف بمعنى الانقطاع الى الله والعزلة عن كل ماسواه كان نتيجة طبيعية لنزعة الزهد التى ظهرت قوية فى الإسلام أثناء حكم الدولة الأموية .

٢ — وأن حركة الزهد هذه لم تكن بمعزل عن المؤثرات المسيحية وان كانت فى جملتها نتيجة للتعاليم الاسلامية . فالتصوف الذى ظهر نتيجته عنها كان اسلاميا فى جوهره .

٣ — ولكن ظهر فى نهاية القرن الثانى الهجرى تيارفكرى جديد كان

---

(٢) المنقذ من الضلال .

له أثره فى التصوف الاسلامى وهذا التيار الفكرى غير الاسلامى واضح كل الوضوح فى أقوال معروف الكرخى ت ٢٠٠ هـ •

٤ — تطورت هذه الأفكار الجديدة تطورا عظيما وأصبحت العنصر الفعال فى التصوف فى النصف الأول من القرن الثالث •

٥ — وكان ذو النون المصرى ت ٢٤٥ هـ أكبر شخصية شكلت المذهب الصوفى وطبعته بطابعه الدائم •

٦ — أن الظروف التاريخية التى ظهر فيها هذا النوع الجديد من التصوف تحملنا على الاعتقاد بأن الفلسفة اليونانية كانت المصدر الذى استمدت منه •

٧ — يجب البحث عن هذا المصدر فى الفلسفة الأفلاطونية الحديثة وفى المذهب الغنوصى •

٨ — ولكن بينما كان العنصر الثيوسوفى (المتصل بالمعرفة) فى التصوف الاسلامى يونانيا كانت الأفكار المتطرفة فى مذهب وحدة الوجود فارسية أو هندية ، أعنى الأفكار التى ادخلها الى التصوف أبو يزيد البسطامى •

أما كلام الصوفية فى الفناء فالمرجح أنه مستند الى مذهب النرفانا البوذية •

٩ — أصبح التصوف مذهبا منظما أثناء الجزء الأخير من القرن الثالث وصار للصوفية أساتذة وتلاميذ وقواعد للسلوك • ولكنهم بذلوا ماوسعهم من جهد للتوفيق بين تصوفهم وبين القرآن والسنة اللذين اتخذوهما أساسا لجميع أقوالهم وأفعالهم)[٣] •

ويبالغ نيكلسون فى تشتيت دائرة المصادر الأجنبية التى صنعت التصوف فى الاسلام فى رأيه وذلك اذ يقول (وقد عولجت مسألة نشأة

---

(٣) فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص٢٦ — ٢٧ •

التصوف فى الاسلام معالجة خاطئة الى عهد قريب جدا ، فقد ذهب كثير من أوائل الباحثين الى تفسير هذه النشأة تفسيرا علميا دقيقا بارجاعها الى أصـل واحد كالفيدانتا الهندية ، أو الفلسـفة الأفلاطونية الحديثة ، أو بوضع فروض أقل مايقال فيها أنها تفسر جانبا من الحقيقة لا الحقيقة كلها ••••• وانى أرى الآن أننا يجدر بنا أن ندرس العوامل المختلفـة التى ساعدت على تشكيل المذهب الصوفى[٤] •

وفكرة نيكلسون هذه هى تقريبا فكرة الاستاذ ماسينيون ، فماسينيون يرى أن التصـوف لا يرجع الى مصدر واحد ، وانمـا يرجع أولا الى القرآن ، وثانيا الى الحديث والفقه وغيرهما من العلوم العربية والاسلامية وأخيرا الى الثقافة العلمية الأجنبية التى وجدت فى البيئة الاسلامية ، فى عهودها الأولى[٥] •

ويبدو الدكتور ابراهيم بيومى مدكور أكثر مايكون ميلا الى تأييـد وجهة النظر القائلة بتأثر التصوف الاسلامى بالثقافات الأجنبية فبالرغم من أنه يقـرر أن الاسلام لم يكن فسـيح الصدر للرهبنة المسـيحية والتقشف الهندى وأن كل دين يشتمل عادة بعباداته ونصائحه عـلى قدر من التصوف لا يحتمل الشك •• الا أنه يعود فيقرر أن هناك عوامل كثيرة وتعاليم مختلفة هندية وفارسية واغريقية ومسيحية أثرت فى تكوين التصوف الاسلامى • ولكن يجب أن نضـم الى هذه المؤثرات عاملا آخر داخليا وجوهريا ألا وهو الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وبـعض الأعمال الدينية •••)[٦] •

ثم يذكر المؤلف وجهتى النظر عن المستشرقين : احداهما تنـكر أثر القرآن فى التصـوف والثانية تقرره •••

---

(٤) فى التصـوف الاسلامى وتاريخه لنيكلسون ص٧٢ سنة ١٩٥٦ .
(٥) أنظر مقدمة المنقذ من الضلال للدكتور عبد الحليم محمود ص١٧٥ .
(٦) فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه ص٦٦ .

أما الأستاذ أحمد أمين فيبدو غير راض عن هذا الاتجاه حيث يقول :

(يحق لنا أن نتساءل : هل وجود فكرة فى احدى الأمم ثم وجودها بعد ذلك فى المتصوفة دليل على أنها أخذت عنها ؟ ••) يجيب الأستاذ أحمد أمين على هذا التساؤل مشككا فى هذا الاتجاه ، ويضرب لذلك الأمثلة فيقول : (ان هناك موانع كثيرة من هذا الرأى مثل أن رابعة العدوية امرأة عربية لم يثبت أنها ثقفت ثقافة أجنبية وهي أول من تكلم فى الحب الالهى فمن أين وصل اليها الحب النصرانى ؟) •

ويضرب مثلا آخر يتبين منه أن التشابه فى النتائج قد يكون مصدره التشابه فى المقدمات وليس نوعا من الاقتباس يقول (لما اتحد الصوفيون فى طريقة رياضة النفس والمجاهدة والأخذ على المشايخ رأيناهم أيضا تقاربوا فى النتائج ورأينا الصوفى العراقى يفهم الصوفى الأندلسى والعكس ، ومحيى الدين بن عربى الأندلسى أستطاع أن يفهم الحلاج العراقى ، وهكذا أفبعد هذا نستطيع أن نجزم بتسرب بعض العناصر المختلفة الى التصوف ؟) •

ويقول أيضا فى هذا الموضوع (ان هذا فى نظرى يشبه ما ملئت به كتب الأدب العربى من السرقات الشعرية فهم يقولون أن معنى البيت مسروق من معنى هذا البيت ، ولا نستطيع أن نجزم بذلك الا اذا اتحدت ألفاظ البيتين أو أكثر أما المعانى فهى شائعة فى كل الأجواء ، قد يقع عليها اثنان أو أكثر ، ويصوغها كل من غير سرقة ، وقد أنصف فى ذلك القاضى عبد العزيز الجرجانى فى الوساطة فحصر السرقة فى حدود ضيقة وكذلك نقول) •

ثم يقول عن التطور الذى لحق بالتصوف منذ القرن الثانى الهجرى وما بعده (على الجملة كان ابراهيم بن الأدهم وداود — الطائى والفضيل

بن عياض وشـــقيق البلخى وكلهم توفوا فى القرن الثانى الهجرى يكـــاد لاينكر أحد أنهم صـــوفية اسلاميون .

ثم نرى بعدذ لك فى القرن الثالث أن التصوف زادت فلســـفته ..) الخ لماذا ؟ .

يجيب قائلا (يفسر ذلك المستشرقون باتصال الصـــوفية بأهـــل الديانات الأخرى ، ونقول نحن باحتمال أن ذلك نشأ من التطـــور الطبيعى كما تطور الزهد الاسلامى الأول الذى كان عند أهل الصـــفة الى زهد مفلسف كزهد الحسن البصرى وكما تطور الحب من حب بسيط كالذى عند صهيب الى حب مفلسف كالذى عند رابعة العدوية)[٧] .

ولكن ألا ترى معى أن كلمة « التطور الطبيعى » كلمة غامضة فى موضعها هذا ؟ لأن التطور الطبيعى يتحرك بعوامل داخلية وخارجية معا ؟

أما الدكتور عبد الحليم محمود فيرفض بصـــفة عامة نسبة التصوف الاسلامى الى ثقافات غريبة عن الاسلام ويقول عن طريقة المستشرقين ومن حذا حذوهم انها (ان دلت على شىء فانما تدل على أن وضع المشكلة .. خطأ من أساسه .. لقد وقف الكاتبون من التصـــوف موقفهم من الثقافة الكســـبية ، والثقافة الكســـبية يتأتى فيها التأثير والتطور والتقليد ... ولكن التصوف والصوفية ليسا من هذا الوادى ....)[٨] .

ذلك لأن التصوف فى رأيه : اتجاه نفسى : يتلخص فى كلمة « انى ذاهب الى ربى » وشعور ذاتى أخص خصائصه أنه لايمكن التعبـــير عنه ، وعلى حد قول الامام الغزالى :

وكان ماكان مما لســـت أذكره .

فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

---

(٧) انظر ضحى الاسلام جـ٤ ص١٥٧ — ١٥٨ طبعة ثالثة .

(٨) مقدمة المنقذ من الضلال ص١٥٨ .

ثم يقول عن هذا الاتجاه وذاك الشعور :

(المشاهدة الصوفية اذن ليست ثقافة كسبية ، واذن لا يتأتى التحدث عن مصادرها الخارجية — أياكانت هذه المصادر — ووضع المسألة — مسألة مصادر التصوف موضع البحث والنظر — انما هو وضع خطأ لايفعله ، ولايقوم به الا من لم يفهم التصوف ولم يسهم فى تذوقه بقليل ولا بكثير) •

ثم يلخص الدكتور عبد الحليم محمود رأيه فى استبعاد التأثر الخارجى من التصوف فى كلمتين : ان التصوف فى بدايته ••• اتجاه فى النفس ، وفى نهايته ••• استمداد من الله • وفى كلتا الحالتين ينتفى التأثير الخارجى •

ونحن وان كنا نميل الى هذا الرأى فى هدفه الا أننا نلحظ أن هناك شيئا من المبالغة فى اغلاق دائرة التصوف بأحكام على دائرة الشعور الذاتى للفرد المنزه عن التأثر ، والا نكون قد حرمناه من التأثر بما يجرى فى البيئة الاسلامية الأصيلة ذاتها •

كذلك فان حركة الصوفى ليست محض بداية ينتقل منها مباشرة الى النهاية ، ولكن له سلوكا مابين البداية والنهاية • قد يتعرض فيه للتأثير ، بل هو بالضرورة سوف يتعرض لهذا التأثير • لكن السؤال هو : ما مصدر هذا التأثير ؟ •

رأينا المستشرقين يميلون الى البحث عن المؤثرات فى الثقافات الأجنبية ، ورأينا الاستاذ أحمد أمين يميل الى عزو الحركة الى مايسميه التطور الطبيعى ، أما نحن فنفصل الأمر فنقول :

ان البحث عن مصادر أجنبية للتصوف الاسلامى فى اطار الأصول التى قدمناها لايقل عبثا وخرقا عن البحث عن مصدر للتوحيد الاسلامى فى ديانة أخناتون ، أو عن مصدر للصوم الاسلامى فى ديانة الهند ، أو عن

مصدر للمحارم فى الشريعة الاسلامية فى احدى الديانات الطوطمية أو عن مصدر للحج فى عادات قريش .

ومن هنا فاننا اذا نظرنا الى التصوف الاسلامى كما قدمناه فى أصـــوله ، فان نشأته ترجع الى التقاء الاسلام بتعاليمه مع الشـــخصية الانسانية فى فطرتها المتكاملة ، حيث تجد كل قوة من قواها الفطـــرية مجالا يتسق مع مجالات قواها الأخـــرى ، فمن ثم لا تهدر قوة من هذه القوى ، ولا تتعاظم على غيرها ، ذلك ان الله واضع الشريعة هـــو بارىء الشخصية الانسانية وخالق نزعاتها وقواها المختلفة ، ومن هنا كانت لغة الدين عند الله مفهومة لدى مختلف جوانب هذه الشخصية ، وكانت تعاليمها متسقة معها جميعا .

وليس من شـــك فى أن النزعة الوجدانية قوة أصيلة ، وركيـــزة هامة فى بناء شـــخصية الانسان ... ولا تقبل الشخصية الانســـانية قمع هذه النزعة واهدارها باسم العقل ، أو باسم غيره من قـــوى الشخصية ، فاذا حدثت محاولة لذلك وقعت الشخصية فى اضـــطراب عظيم ، ودل ذلك على أن مصدرا من غير الوحى الالهى ، هو الذى يمد يده ليعبث بشـــخصية الانسان .

وفى رأينـــا أن الاســـــلام يلتقى مع الفطرة البشرية على ثلاث درجـــات :

أولاها لكى يتوافق معها .

ثانيتها لكى يؤلف بين عناصرها .

ثالثتها لكى يرتقى بها .

وهو يفعل ذلك فى التقائه مع الفطرة فى أى جهة من جهاتها عقلية ، أو وجدانية أو بدنية .

ولذلك فان التصوف الاسلامى لابد أن يكون ملتزما بهذا المنهج الاسلامى العام .

وطالما أنه كذلك فانه من العبث البحث عن مصدر للتصوف الاسلامى فى غير الاسلام .

انه فى هذا النطاق ينبغى أن يكون البحث عن المصادر قاصرا على الوحى فى القرآن والسنة أو الفطرة البشرية التى التقى معها الوحى توافقا وتكاملاً وارتقاء .

ولا يكون البحث عن المصدر الأجنبى فى هذه الحالة الا محض عبث ان لم يكن قصدا لتشويه الحقائق .

أما البحث عن المصدر الأجنبى فيبدأ أو ينبغى أن يبدأ عندما نجد أمامنا صورة من صور الانحراف عن الوحى ، أو صورة من صور الاجتهاد البشرى لا تتفق مع الفطرة ، أو تنكر التكامل بين عناصرها ، أو تعمل على الانحطاط بها .

وكمثال على الانحراف فى صورته الأولى أن نجد دعوة الى تجنب الزواج [٩] بغير عذر شرعى .

وكمثال على الانحراف فى صورته الثانية أن نجد دعوة الى تحقير العقل ، وكمثال على الانحراف فى صورته الثالثة أن نجد دعوة الى الاباحية واسقاط التكاليف الشرعية .

---

(٩) لقد لاحظ أحد المستشرقين بحق أن (كلمة الزهد حين تستعمل فى تاريخ الرهبانية المسيحية وفى تاريخ المتبتلين فى ديانات هندية مختلفة أو حتى بالنسبة لبعض متأخرى الصوفية تدل على تجنب متعمد للذات العادية ، وعلى عدم الأخذ بنصيب من الحياة الانسانية ، ولاسيما الحياة الزوجية ، لكونها تعوق النفس وتمنع رقيها الروحى ، والزهد بهذا المعنى غريب على روح الاسلام ولا يظهر بين المسلمين الا باعتباره وافدا من البيئات الأجنبية) . انظر الفكر العربى ومكانه فى التاريخ لديلاسى أوليرى ترجمة د / تمام حسان نشر عالم الكتب ص١٩١ .

اذا ماوجدنا شيئا من ذلك أو مثيلا له فانه هنا ينبغى أن نقول : قف ليس هذا من الاسلام وليس هذا من التصوف الاسلامى ، وعلينا أن نبحث عن الثغرة الأجنبية التى نفذ منها الى البيئة الاسلامية :

عندئذ يجب أن نفتح ملف المصادر الأجنبية لنفضح التسرب ، جاء هذا التسرب من المجوسية أو من الغنوصية ، أو من الأفلاطونية الحديثة ، أو من اليهودية ، أو من المسيحية ، أو من غيرها .

وقوع الانحرافات عموما :

نحن نظلم التصوف اذا قدمناه فى صورة الانحرافات التى انزلق اليها بعض السالكين ، ولكننا نكون أشد ظلما له اذا نحن لم نسجل هذه الانحرافات فى ذيل الخط الأصيل للتصوف ، ذلك لأن تجاهل هذه الانحرافات — مع ذيوعها — يسمح بأن تستقر الصورة المشوهة له فى أذهان الناس باعتبارها المعبر الحقيقى عنه ، وهذا يجافى الحقيقة .

وقد يتساءل بعض المدافعين عن التصوف هذا السؤال : هل نتحدث عن انحرافات الصوفية أم نسكت ؟ .

مر الامام القشيرى بهذه التجربة الشخصية ، ففى بداية أمره كان يؤثر السكوت ، يقول (كنت لا أبسط الى هذه الغاية — أى بيان الانحرافات — لسان الانكار ، غيرة على هذه الطريقة أن يذكر أهلها بسوء ، أو يجد مخالف لثلبهم مساغا ..) لماذا ؟

(اذ البلوى فى هذه الديار بالمخالفين لهذه الطريقة والمنكرين عليها شديدة ...) .

ثم يقول (ولما كنت أؤمل من مادة هذه الفترة أن تنحسم ولعل الله سبحانه يجود بلطفه فى التنبيه لمن حاد عن السنة المثلى فى تضييع آداب هذه الطريقة .

ولما أبى الوقت الا استصعابا ، وأكثر أهل العصر بهذه الديار الا تماديا فيما اعتادوه واغترارا بما ارتادوه ، أشفقت على القلوب أن تحسب أن هذا الأمر على هذه الجملة بنيت قواعده وعلى هذا النحو سار سلفه ... فعلقت هذه الرسالة اليكم)[١٠] الخ .

واذن فان الحديث عن الانحراف فى مجال الصوفية يأتى من رجال التصوف الغيورين عليه قبل أن يأتى من سواهم . وان اختلفت النوايا بالطبع .

والأمر الذى لا جدال فيه أنه وقعت فى مجال الصوفية انحرافات تحدث عنها كبار القوم وأعلامهم .

وفى هذا الصدد يحكى أبو نصر السراج الطوسى المتوفى عام ٣٨٧هـ . شعرا عن على بن عبد الرحيم القناد رحمه الله فى التصوف واندراس آهله ، يقول :

أهل التصوف قد مضوا صار التصوف مخرقة
صار التصوف صيحة وتواجدا ومطبقة
مضت العلوم فلا علوم ولا قلوب مشرقة
كذبتك نفسك ليس ذا سنن الطريق المخلقة
حتى تكون بعين من عنه العيون المحدقة
تجرى عليك صروفه وهموم سرك مطرقة[١١]

ويقول الامام القشيرى المتوفى سنة ٤٦٥هـ فى حملته على الانحراف فى مجال الصوفية فى عصره :

---

(١٠) الرسالة ص٢٩ — ٣٠ .

(١١) اللمع ص٤٧ .

اعلموا رحمكم الله أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ، ولم يبق فى زماننا هذا من هذه الطائفة الا أثرهم كما قيل :

أما الخيام فانها كخيامهم
وأرى نساء الحى غير نسائها

حصلت الفترة فى هذه الطريقة لا بل أندرست الطريقة بالحقيقة •

مضى الشيوخ الذين كان بهم اقتداء وقل الشباب الذين كان لهم بسيرتهم وسننهم اقتداء وزال الورع وطوى بساطه واشتد الطمع وقوى رباطه •••)[١٢] •

ويقول الشيخ أحمد بن أحمد بن زروق الصوفى المتوفى ٨٩٩هـ •

(قد يتجاذب الأمر من يستحقه ومن لا يستحقه فيكون المنع لاحد الطرفين دون الآخر •

وقد أشار سهل لهذا الأصل بقوله :

« اذا كان بعد المائتين فمن كان عنده شىء من كلامنا فليدفنه فانه يصير زهد الناس فى كلامهم ومعبودهم بطونهم •

وعدد أشياء تقضى بفساد الأمر حتى يحرم بثه ، لحمله على غير ما قصد له ، ويكون معلمه كبائع السيف من قاطع الطريق •

وهذا حال الكثير من الناس فى الوقت[١٣] اتخذوا علم الرقائق والحقائق سلما لأمور : لاستهواء قلوب العامة ، وأخذ أموال الظلمة واحتقار المساكين ، والتمكن من محرمات بينة[١٣] وبدع ظاهرة ، حتى أن بعضهم خرج من الملة وقبل منه الجهال ذلك)[١٤] •

---

(١٢) الرسالة ص٢٧ — ٢٨ •

(١٣) يعنى عصر الشيخ زروق : القرن التاسع هـ •

(١٤) أنظر كتابه قواعد التصوف ص١٠ •

أما الشيخ الشعرانى فيحرص فى كتابه « الأخلاق المتبولية » الذى كتبه فى منتصف القرن العاشر الهجرى على أن يقدم فيه مجموعة من النظرات التصحيحية النقدية تصلح منارا للتفتيش فى أحوال صوفية عصرنا ، وفى توجيههم الى التصوف الاسلامى الصادق •

وفى تقديرى أن الكتاب يعبر عن نظرة المؤلف النقدية للصوفية فى عصره ، أو لمن يأتى منهم بعد عصره ، انه بعد أن يتحسر على وفاة مشايخه الذين اعتبرهم كالشموس والأقمار والنجوم ، فيهتدى بهم فى (ظلمات الجهل ليلا ونهارا) يحذر المريدين والأشياخ فى عصره •

فيقول : « اياك ياأخى اذا علمت شيخا فى هذا الزمان أن تظن بنفسك أنك على قدم واحد مع هؤلاء الأشياخ الذين أدركناهم فى النصف الأول من القرن العاشر أو يخطر ذلك ببالك » جـ١ ص٨٩ •

ثم يقول وهو يقدم كتابه « ان هذه الأوراق التى رقمناها فى هذا الكتاب كالسيف القاطع لعنق كل مدع الطريق فى هذا الزمان لما فبها من الموازين والمحكمات التى تفلس المدعين للطريق » •

ومن أغراضه فى تأليف كتابه أنه يجعله مقياسا للصوفى الحقيقى ، يقول « ••• فلا تظن بنفسك ذلك الا بعد مرورك على أخلاقهم التى ذكرناها عنهم فى هذا الكتاب ورؤيتك نفسك متخلقا بها » •

ثم يقول « واعلم يا أخى أن كل من تخلق بأخلاق هذا الكتاب كان معدودا من متصوفة القوم وكأنه صحب جميع الأشياخ الذين أخذوها عن سيدى ابراهيم » •

ومما يدل على أن الشيخ الشعرانى انما ألف كتابه فى اطار نظرة نقدية تستهدف اصلاح حال الصوفية فى زمانه ، وفيما يأتى بعد زمانه ، قوله عن كتابه :

« أعرض يا أخى ماذكرناه لك فى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف حالهم وحالك ، وذلك ، لأن الصادقين اختفوا من شـدة فسـاد الزمان وما ظهر الا بعض المدعين » جـ١ ص٩٧ ٠

ويروى عن الشـيخ المتبولى نقده لبعض الصوفية اذ يقول :

« كان رضى الله عنه يعيب على من يشتغل بالأسماء الالهية لعلة دنيوية ويقول : من فعل ذلك فهو كعبدة الأصنام » جـ١ ص١١٨ ٠

واذ يطوف الشيخ الشعرانى بكبار الصوفية ممن سبقوا مقتطفا من أزهار ورعهم وعبادتهم ، يذهب الى مدعى التصوف فى عصره ليقول عنهم « وما بسطت لك يا أخى هذا المحل الا مبالغة فى زجر هـؤلاء المدعين عن الدعوى لارادة الطريق ، فضلا عن كونهم من المشايخ ، فضلا عن كون أحدهم قطبا ، وقد أفتى بعض المتأخرين بأنه لايجوز لنا الاقتداء بغالب هؤلاء المشايخ الذين ظهروا فى النصف الثانى من القرن العاشر ، ولا الوقوف عند أقوالهم لجهلهم بقواعد طريق القوم فان من قواعدها التضلع من الكتاب والسنة حتى يصير قطع مشايخ الاسلام بالحجج فى مجلس المناظرة » جـ١ ص١٥٣ ٠

ويواصل المؤلف مهمته النقدية فيقول « وقد دخل على شخص وأنا أكتب فصار يتكلم فى الفناء والبقاء والهجر فقلت له : يا أخى هذا الذى تقوله انما يكون معرفته للانسان بعد السلوك على وفق الشريعة المطهرة بالأعمال الزكية والأخلاق المرضية اللائقة بالسالك ، فقل لى : ما شروط الوضوء ؟ وما شروط الصـلاة ؟ وماشروط الصـوم ؟ وما واجبات الحج ؟ فتلجلج ومادرى مايقول ، فقلت له : لم لاتجبنى عما سألتك ؟ فقال : لم أقرأ شيئا فى علم الفقه ، فقلت له : فاذن أنت من اخوان الشياطين ثم انقطع عني من ذلك اليوم » ثم يقول : « ... وقد كثر هذا الحال فى المنتسبين الى الفقر فى هذاالزمان ، وربما يقول أحدهم : الفقهاء

محجوبون عن الله بعلمهم ، وذلك كفر فانه جعل الهدى يحجب عن الله ، والضلال يوصل الى حضرة الله ، نسأل الله العافية ‥ » جا ص٢٦٠ .

وهو يقول : « ان العوامل الكشـــفية : لاتأتى قط الا موافقة للشريعة لأنها اخبار بالأمور على ماهى عليه فى نفسها … » جا ص١٠٥١ .

ويقول « سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : كيف ينسب القوم الى مخالفة السنة وهم مجمعون على أنه لايجوز لأحد منهم الاقدام على فعل أو قول حتى يعلم مستنده من الكتاب والسنة » جا ص١٠٨ .

ثم يقول : « وسمعت سيدى محمد المنير رحمه الله تعالى يقول :

« الزموا طريق السلف الصالحين ، واحذروا من طريق المتأخرين ، تركوا المجاهدات لنفوسهم وصارت لهم مسالك ‥ كثيرة التعب قليلة المنفعة جعلوها بجهلهم نهاية التحقق ، وغاية التدقيق فهى فى نفس الأمر سراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا … » ج ٢ ص ١٢ .

وهكذا تتناثر هذه النظرات النقدية فى ثنايا الكتاب ، وأنت خبير بأنها تتناول جوانب مختلفـــة للنقـــد ، منها مايتعلق بالخلق ، ومنها ما يتعـــلق بالتكســـب ، ومنها ما يتعلق بالتقييد بالشريعة ومنها مايتعلق بالتعليـــم …

وعلى وجه الاجمال فان الانحرافات التى جرت فى مجال الصوفية يمكن حصرها فى صور من الانحرافات عن الأصول الاسلامية التالية :

أولا :

(أ) فى جانب العقيـــدة :

ولذلك صور من الانحراف فى الالهيات فى القول برؤية الله فى الدنيا، أو تشبيهه تعالى بالحوادث ، أو القول بالاتحاد ، أو الحلول ، أو

وحدة الوجود ، أو اطلاق مفاهيم جديدة عن أسمائه تعالى •• الخ•
ولذلك أيضا صور من الانحراف فى حقيقة النبوة والولاية : أيُّهما أفضل ؟ والحقيقة المحمدية وكونها مصدرا للوجود •• الخ •

ولذلك أيضا صور من الانحراف فى حقيقة الفعل الانسانى والى من ينسب ؟ والقول بـ « عين الجمع » الخ •

(ب) فى جانب الشريعـــة :

ولذلك صور من الانحراف فى عدم التقيد بالشريعة فقها أو عملا عند مرحلة من مراحل السلوك أو الوصول ، ويرتبط بما تقدم اباحة المحرمات أو بعضها •• الخ •

ولذلك أيضا صور من الانحراف فى القعود عن الكسب واقرار مفهوم خاطىء عن الزهد •

(ج) فى جانب القيـــم :

ولذلك صور من الانحراف فى الاقلال من قيمة الجزاء المادى بالجنة أو النار أو فى الشطحات المعبرة عن اجتراء العبد على مقام الألوهية فى الأنس والوجد والشوق ومايشبه ذلك من الأغلاط بوجه عام •

واذا أردنا أن نشـــير هنا الى أهم المصادر التى جاءت منهـــا تلك الانحرافات فنحن نصنفها أيضا الى مصادر غير اسلامية :

من الأفلاطونية ، والغنوصـــية اليونانية ، والهيلينية ، ومن مذاهب الهند / كالفيدا واليوجا ، والجينا ، ومن مذاهب الفرس ، كالثنوية ، والمزدكية ، والمانوية ومن الفرق الاسلامية أو المنتسبة الى الاســــلام كالمشبهة ، والجهمية ، وغلاة الشيعة ولهذا مبحث قادم باذنه تعالى •

وبالله التوفيق ،

أهم المراجع

* القرآن والسنة :

ابن خلدون ت ٧٨٤ هـ

١ ـ (مقدمة ابن خلدون)

ابن زروق (أحمد بن محمد زروق) ت ٨٩٩هـ

٢ ـ قواعد التصوف :

تعليق محمد زهرى النجار نشر مكتبة الكليات الأزهرية

د . أبو العلا عفيفى .

٣ ـ « التصوف الثورة الروحية فى الاسلام »

طبعة دار المعارف عام ١٩٦٣م .

أحمد أمين :

٤ ـ فجر الاسلام : الطبعة الخامسة ١٩٤٥م .

٥ ـ ضحى الاسلام : الطبعة الثالثة

الاسفراييني :

(أبو المظفر الاسفراييني ت ٤٧١هـ) .

١ ـ التبصير فى الدين : طبعة عام ١٩٤٠م .

الايجى :

(عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجى)

من رجال القرن الثامن الهجرى .

٧ ـ المواقف : مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٥هـ .

الباقلانى :

(أبو بكر بن الطيب الباقلانى ت ٤٠٣هـ) •

٨ — الانصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به — طبعة ١٩٦٣م

البياضى :

كمال الدين أحمد بن حسام الدين البياضى الرومى الحنفى ت ١٠٩٨هـ

٩ — اشارات المرام طبعة ١٩٤٩م •

د • بيومى مدكور :

١٠ — فى الفلسفة الاسلامية : منهج وتطبيقه — طبعة الحلبى ١٩٤٧م

التفتـــازانى :

(مسعود بن القاضى فخر الدين عمر ، ابن برهان الدين عبد الله، ابن الامام شمس الحق والدين ، ويعرف بسعد الدين التفتازانى ت مابين ٧٩١ ، ٧٩٧هـ) •

١١ — شرح المقاصد — طبعة أولنمشدر

د • توفيق الطويل :

١٢ — أسس الفلسفة • نشر مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٥٨م •

الفخر الرازى :

١٣ — اعتقادات فرق المسلمين والمشركين — طبعة عام ١٩٣٨ •

د • سليمان دنيا •

١٤ — الحقيقة فى نظر الغزالى — طبعة أولى •

١٥ — مفهوم التصوف — طبعة سلسلة الثقافة الاسلامية •

الشـــعرانى :

(عبد الوهاب بن أحمد الشـــعرانى) •

١٦ — اليواقيت والجواهر •

٢٧ — الأخلاق المتبولية — طبعة عام ١٩٧٥ •

الطوسى :

(أبو نصر السراج الطوسى) ت ٣٧٨هـ .

١٨ — اللمع — طبعة ١٩٦٠ .

د . عبد الحليم محمود :

١٩ — دراسة لنصوص من الاشارات فى التصوف عند ابن سينا — طبعة الأنجلو .

٢٠ — دراسة لكتاب « المنقذ من الضلال » للامام الغزالى — الطبعة الخامسة .

عبد الجبار :

(القاضى أبو الحسن عبد الجبار ت ٤١٥هـ) .

٢١ — المحيط بالتكليف : نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة .

عبد الله الحضرمى :

(من صوفية القرن الحادى عشر الهجرى) .

٢٢ — آداب سلوك المريد — طبعة القاهرة ١٩٧٦ .
بتحقيق الشيخ حسنين محمد مخلوف .

د . على سامى النشار :

٢٣ — نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام — طبعة عام ١٩٦٥م .

عمر السهروردى :

٢٤ — عوارف المعارف — طبعة عام ١٩٧١م .

الغزالى :

٢٥ — المنقذ من الضلال .

٢٦ — احياء علوم الدين .

القشــــيرى :

(أبو القاسم عبد الكريم القشيرى) ت ٤٦٥هـ •

٢٧ — الرسالة : طبعة عام ١٩٧٢م •

الكلاباذى :

(أبو بكر محمد الكلاباذى) ت ٣٨٠ هـ •

٢٨ — التعرف لمذهب أهل التصوف — طبعة عام ١٩٦٩م •

مصــطفى عبد الرازق :

٢٩ — فى مقدمته لكتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى •

د • محمد غلاب :

٣٠ — التصـــوف المقارن — طبعة نهضة مصر •

نيكلســـون :

(رينولد • أ • نيكلسون) •

٣١ — الصوفية فى الاسلام : ترجمة شربية — طبعة عام ١٩٧١م •

٣٢ — فى التصــوف الاســـلامى وتاريخه — طبعة ١٩٥٦ ترجمة د • أبو العلا عفيفى •

يوســف كرم :

٣٣ — تاريخ الفلســفة اليونانية — طبعة ١٩٥٨م •

تم بحمد الله

الفهرس

صفحة

صفحة

صفحة

مطبعة الجبلاوى

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٤/١٥٩٩